

أقلام النأثير:

الحبر الأسود

تأليف الدكتور

خالد محمد أحمد عطيه

الحبر الأسود

حـ _ خالد محمد أحمد عطيه ، ١٤٤١هـ _

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطية، خالد محمد أحمد

أقلام التأثير : الحبر الأسود .

خالد محمد أحمد عطيه . مكة المكرمة ، ١٤٤١هـ .

١٧٠ ص ؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك : ١ - ٤٥٦٠ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الإلقاء . ٢- البلاغة العربية . أ - العنوان

ديوي ٨١٥,٠٤ ١٠٩٨٥ / ١٤٤١

رقم الإيداع : ١٠٩٨٥ / ١٤٤١

ردمك : ١ - ٤٥٦٠ - ٠٣ - ٦٠٣ - ٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الملك العلام والصلاة والسلام والأنوار والبركات على خير الورى أفضل من بأمر الله تعالى قام . ثم أما بعد :

في أجل الكتب السماوية على الإطلاق استفتح جل شأنه الذكر الحكيم بأول آيات فيه من أول سورة كريمة بقوله : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق] .

وفي ثاني السور الكريمة نزولاً بدأت بقول الله جل شأنه : ﴿ تَوَالَّقَ ۝١ وَأَلْقَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝٢ ﴾ [القلم] .

وفي العهد الجديد من الكتاب المقدس في إنجيل يوحنا كان أول ما جاء فيه : (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان) [الإصحاح ١، النص ١-٣] .

يتضح بهذا أن الكلمة مسؤولية كبرى، متى خرجت من فم الإنسان فقد أحدثت أثراً خيراً كان أم شراً، وأن القلم مسؤولية أكبر منها لأنه الأداة التي تدون بها الكلمات والعلوم، ليبقى أثرها عبر الأجيال .

الحبر الأسود

والإنسان خليفة الله سبحانه في الأرض، يتعلم ويُعلم، يستفيد ممن كان قبله ويفيد من سيأتي من بعده، وهكذا .

عليه إذن أن يضبط ألفاظه وأن يحسب كلماته وأن ينتقي عباراته حتى لا يقع في حرج أو هلكة توبقه .

وقديماً قالت العرب : (رب كلمة قالت لصاحبها دعني)، من شدة ما أحدثته من هول ومصيبة .

وقالت العرب أيضاً : (المرء يملك الكلمة ما لم يقلها، فإن نطق بها ملكته)، فليتفطن المرء لما يحدثه كلامه من عواقب .

وأولى من ذلك قوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب)[مسلم] .

وفي رواية أشد منها قوله ﷺ : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار)[الترمذي وابن ماجه] .

وفي رواية ثالثة أشد منهما قوله ﷺ : (إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عز وجل عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه)[الترمذي وابن ماجه] .

الحبر الأسود

وأولى من ذلك وأعلى قول الله سبحانه في محكم التنزيل : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [١٨] . فطوبى لمن قال حقاً ونمى خيراً بكلماته وكتاباتهِ، وويل لمن افترى باطلاً وذرّ شراً بعباراته ومدوناتهِ . إذن هي الكلمات تقال لعدة مقاصد حسنة أو سيئة، متى صمت عنها الإنسان ملكها، لكنه متى نطق بها ملكته وربما أهلكته . وهذا ما حصل في عالم البشر بالفعل وللأسف .

والنجاة الحقيقية من كل ذلك تتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء] . وقوله ﷺ في الحديث النبوي الشريف : (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) [الترمذي وابن ماجه وأحمد] . وقوله ﷺ : (أملك عليك لسانك) [أبو داود الترمذي وأحمد] . وفي رواية : (أمسك عليك لسانك) . فلو أن الناس عملوا بذلك فعلاً، لأفلحوا في دنياهم وأخراهم ولما أوقعوا أنفسهم والآخرين في مهالك لا خلاص منها .

المؤلف /

مكة المكرمة

١٤٤١/١٠/٢٥ هـ

جوال : ٠٥٠٤٧٩٩٥١١

الحبر الأسود

مدخل :

جرت العادة أن القلم يكتب الكلمات لتسود عبر الأجيال، بتوثيق علم نافع وحق ظاهر ينير للناس زمانهم، لكنه أحياناً يكتبها ليسود بها الصفحات ومن وراء ذلك العقول، بجهل مستحكم وباطل مظلم، ظلاماً حالكاً، أشد من حُلْكة الليل البهيم .

وحينها تجر الكلمة ويلات لا تقف عند حد الزمان أو المكان، بل ربما تعدت ذلك لتؤثر في سلوكيات الناس بعد أن استقرت في عقولهم، وهنا تكمن المشكلة الكبرى .

فالكلمة هي العلم، وهي الفكر، وهي جيل التواصل بين الناس، وهي القاموس الذي يختزن التعابير والمعاني .

لها أثر يبقى، وصدى لا يلى، ووقع في النفوس، وتأثير في القلوب، وأسر للعقول، وجذب للأرواح، كل ذلك بمدلولها ومعناها البسيط .

فهي بذلك سلاح ذو حدين قد يستعمل في الخير وقد يستعمل في الشر، بحسب حامله، وفم بلسانين قد ينطق بالحق وقد ينطق بالباطل، بحسب باعثها، فإما أن ينتج عنها عمار المجتمعات والشعوب، وإما أن ينجم عنها دمار ووبال وكروب وحروب .

الكلمات ! متى كتبت على صفحات الورق وسطرت، كانت ظلاماً دامساً، أو نوراً يهتدى به .

الحبر الأسود

الكلمات متى غزت العقول، نورتها وهذبت سلوكها وصقلت أفكارها، أو أظلمتها وحرفت سلوكها وأفسدت توجهها .

هي الكلمة تخرج من الفم، فتحدث ما لا يحدثه السيف، فهو وإن قتل قتل واحداً، لكن الكلمة متى قتلت، قتلت ملايين البشر .

بالكلمات تبنى أمجاد الأمم فيرتفع شأنها، أو تنهدم حضارتها ويضيع تراثها في غياهب النسيان والجهل والتخلف .

بالكلمات تقاد الجماهير، فتنشأ عليها الأجيال تتلوها الأجيال، رغم كثرة العقول لا تستطيع فك الارتباط منها أو تجاهل محتواها .

بالكلمات توارثت الأجيال العلم، وصاغت الجمل لتعبر بها عما يمكن أن يسطر، وتبقى إلى ما شاء الله تعالى لها أن تبقى .

والإنسان ذلك الشامخ لطالما زعم العلم والفكر والتميز، لطالما اعتر بذاته، وتفاخر بقدراته، وتباهى بعلمه، ورغم ذلك كله رب كلمة أسرته وملكت مقادته، وقيدت فكره، وسيطرت على عقله وقلبه .

وإذا عرفنا قيمة الكلمات، وقدرنا خطورتها، عرفنا الأثر البالغ الذي تحدثه في العقول والقلوب والنفوس، فتسيطر به على الناس .

ولذا كان أكبر معجزات العالم على الإطلاق مجرد كلمات، ألا وهي القرآن الكريم الذي أعجز البشر وأذهل عقولهم .

الحبر الأسود

من هنا نلج إلى ساحة عالم البشر، وندخل عليه لنرى ماذا فعلت بهم الكلمات، ولنعرف كيف أثر فيهم القلم .

فإن كان الأثر طيباً إيجابياً كان سواداً وسودداً، وإذا كان الأثر فاسداً سلبياً كان مسوداً مسوداً .

وهذا بدوره يلقي على الإنسان مسؤولية كبرى، تجاه نفسه التي يحياها، وأسرته التي يعاشرها، ومجتمعه الذي يعيش فيه، وأمه التي ينتمي إليها، ليكون عامل بناء فيه، صالحاً مصلحاً قدر استطاعته .

وليحذر أن يكون معول هدم يضر نفسه أو أسرته أو مجتمعه أو أمته . فتلكم هي الكلمات وذلكم هو القلم عمارة أو دمار .

هما الحاكمان للمجتمعات والشعوب لا سواهما، وهما القائدان للأفراد والجماعات لا غيرهما، في كل زمان ومكان البداية تكون بكلمة والنهاية تكون بكلمة .

وأوجب واجبات الكلمات بذلها برفق ولين ليقبلها كل من سمعها أو قرأها، وإلا فما الفائدة المرجوة منها إن قيلت بفظاظة وغلظة أو كتبت بعنف وشدة، سترفض حينها ولن تُقبل .

إذن هو الأسلوب الأمثل الوعاء الحاضن لها والغطاء المزين لمدلولها، يتحكم في مدى قبولها أو رفضها سواء كانت منطوقة أم مكتوبة، فمن لانت عريكته قبلت كلمته .

الفصل الأول : الإصلاح والمصلحون

- ١ - دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .
- ٢ - بلاغ الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان .
- ٣ - دور العلماء الربانيين .
- ٤ - نشاط الدعاة المعتدلين .
- ٥ - تراث الكتّاب والمثقفين .
- ٦ - دعم القادة والمتنفذين .
- ٧ - كلمات العامة والغيورين .

هي كلمات مشرقة مضيئة قصد بها الخير
تنير للبشرية طريقها وللعالم دروبه
على منهج حق تهدي إلى سواء السبيل
ينطق بها محبٌ بالحكمة والموعظة الحسنة



الحبر الأسود

١ - دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام

- دعوة حق وصدق من رب العزة والجلال فحوهاها هداية البشرية إلى كل خير وبر ونور وهدى وصلاح .
- وإقامة شرعه القويم سبحانه وتطبيق منهجه الحكيم .
- جاء بها السادات الكرام أخلص البشر واتقاهم عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم السلام .
- لكل منهم منهج خاص به يحقق لأمته كل نفع ومصلحة .
- مناهج في مجملها تحفظ الناس من كل شر وسوء وبلاء .
- تختلف في تعاليمها لكنها من حيث العموم ذات غاية واحد .
- خاطبت الجميع بنفس درجة التقيد والالزام بخطاب الملك العلام .
- بتعاليم متوازنة وسطية معتدلة لا انحراف فيها ولا تطرف .
- فكانت بذلك دعوتهم عليهم الصلاة والسلام نوراً على نور .
- باللسنة صدق نطق بالحق الذي لا مرأى فيه ولا إفراط ولا تفريط .
- فلم ينشأ عنها في كافة الظروف والأحوال إلا كل خير للبشرية .
- ولم يحصل البأس إلا بمخالفتها والإعراض عنها والاستخفاف بها .
- كلمات خُطَّت بحبر أسود على صحائف بيضاء نقية حَبَّرَها تحبيراً .
- فكتبت لها رفعة الشأن على مر الزمان لارتباطها بخالق الأكوان .

الحبر الأسود

- وقادت البشرية بخير مناهج وتعاليم سماوية ربانية .
- ولا سيما خاتمة الرسالات السامية السمحة السهلة اليسيرة .
- بشريعتها الباقية إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها .
- لا تبديل لكلمات الله سبحانه ولا تحويل .
- ولا هدي ولا دستور أو تعاليم تفوق شريعتها أبداً .
- أو تتجاوز تعاليمها جملة وتفصيلاً مطلقاً .
- فترك بذلك خير الورى ﷺ لمن بعده النور المبين والهدي القويم .
- نوران تامان هما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- من تمسك بهما واستمسك بتعاليمهما هُدي إلى صراط مستقيم .
- وكان من أصحاب الشرف والسواد والسؤدد إن شاء الله تعالى .

الحبر الأسود

٢ - بلاغ الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان

- بعد التحاق خير الورى ﷺ بالرفيق الأعلى سبحانه .
- تحمل أعباء البلاغ من بعده قوم صدق تفانوا في حبه والافتداء به .
- هم الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم أجمعين .
- تلقفوا العلم الشريف عنه ﷺ باتقان بالغ بكل معاني الكلمة .
- وحفظوا عنه كل ما سمعوه منه بالدقة المتناهية .
- ومن ثم نقلوه إلى الأمة بأسرها نقلاً دقيقاً محرراً .
- فخلد التاريخ ما تركوه من إرث ثقیل وتركه نفيسة .
- جاء من بعدهم عصر التابعين الأجلاء رحمهم الله تعالى .
- وأتباعهم وتابعوهم ومن تبعهم من طبقات علمية متتابعة .
- حفظوا العلم من أفواه الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم .
- ومن ثم وثقوه وكتبوه ودونوه كي لا يضيع ويختلط بغيره .
- هؤلاء جميعاً يطلق عليهم السلف الصالح أو القرون الأربعة المفضلة .
- لقوله ﷺ : (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال : ثم يتخلف من بعدهم خلف، تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[متفق عليه] . فكان هذا الحديث النبوي الشريف شهادة لهم بالديانة والعلم والفضل والشرف والسؤدد .

الحبر الأسود

- وتزكية لأماناتهم لحفاظهم على الإرث النبوي الشريف باهتمام بالغ وعناية فائقة .
- ولأنهم أول ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
- تحقيقاً لقوله ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [أبو داود والترمذي وابن ماجه] .
- وفي زمانهم انتهى عصر التأليف والتدوين الحقيقي للعلم .
- وكل من جاء من بعدهم عيال عليهم في الواقع .
- يأخذون منهم ويصدرون عنهم ويتكثرون على أقوالهم وتراثهم .
- هم حلقة الوصل بين خير الوري ﷺ ولمن بعدهم .
- سلاسل رجال من ذهب خالص وصفوا بأعلى معايير الاتقان .
- ما منهم إلا وله ملف كامل مؤرشف في كتب السند والرجال .
- فرضي الله تعالى عنهم ورحمهم جميعاً .
- وجمعنا بهم وبخير الوري ﷺ في الفردوس الأعلى .
- في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

٣- دور العلماء الربانيين

- وبعد عصر السلف الصالح تبعهم الخلف الصالح .
- أربعة قرون أخرى قياساً على قرون السلف الأربعة .
- تلتها أربعة قرون ثلاثة قياساً عليها أطلق عليهم المتأخرون .
- ثم كان من بعدهم زمن المعاصرين وما يزال حتى يومنا هذا .
- أخذوا بزمام الأمور كل جيل منهم كان حلقة وصل لمن بعده .
- فنقلوا العلم الشريف ودونوه ووثقوه وتوسعوا فيه .
- فشرحوا ما يحتاج لشرح وبيينوا ما يحتاج لبيان .
- وعرضوا المسائل وتناولوها بشيء من التفصيل .
- خدموا العلم بصدق فخدمهم وخلّد ذكراهم .
- وأصلح الله سبحانه على أيديهم شيئاً كثيراً .
- تركوا لنا ذخيرة ضخمة من العلم الناصع النافع .
- بيضوا بها الصفائف والكتب والمدونات والمؤلفات .
- حوت عشرات الأجزاء والمجلدات بل المئات والآلاف منها .
- أقام الله عز وجل بهم الدين على الصراط المستقيم .
- بارك فيهم وفي أعمارهم وأوقاتهم فنفع بما كتبوه بأيديهم .
- وبما خطوه بمدادهم رغم كثرة المصاعب في تلك الأزمنة .

الحبر الأسود

- وقلة ذات اليد لأكثرهم وصعوبة الأسفار والتنقلات في زمانهم .
- وضعف بعضهم وعلة التي أرهقت جسده وأنهكت قواه وبدنه .
- لكن عزائمهم لم تثن وهممهم لم تضعف وأقلامهم لم تقف .
- علموا أن إرث النبوة الشريف أمانة كبرى في أعناقهم يجب النهوض بها وبلاغها لمن بعد مهما كانت الظروف والأحوال والصعاب .
- فأوصلوه للناس كافة رغم كل المشاق والمهالك .
- حلوا وارتحلوا وسافروا وفارقوا واتهموا وسجنوا وطرردوا ولوحقوا .
- كل ذلك توثيقاً للعلم الشريف بكل دقة صيانة له من كل وجه .
- علماء صدق ربانيون لا يشترون بدين الله تعالى ولا يبيعون .
- كانوا وما زال بعضهم بيننا يهدي الله سبحانه على أيديهم العباد .
- ويرشد بتوجيههم الناس سواء كانوا ظاهرين أم أخفياء .
- وينير بأقلامهم الحوالمك ويدفع بمواقفهم المهالك .
- لذا كان العالم الرباني صاحب قصب السبق والقُدح المعلى .
- لا يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق إلا من اشتغل بالعلم كما اشتغل .
- وجرد نفسه لخدمته رغم كل الظروف والمشاكل .
- فبقيت أثره على مر السنين صفحات بيضاء زاحمة بنفح الطيب .
- تستفيد الأجيال من علمهم وتفيد من بعدهم لتبقى عجلة العلم دائرة إلى ما شاء الله تعالى فكانوا بحق خير خلف لخير سلف .

٤- نشاط الدعوة المعتدلين

- الدعوة إلى الله تعالى توأم العلماء بأصواتهم الصادحة بالحق .
- يتلمسون طريقهم ويستترون تحت عباءتهم عوناً لهم ومعيناً .
- يحملون همّ الدعوة إلى الله تعالى بحسب ما أوتوا من علم .
- حبهم لدينهم دفعهم لتسخير أقلامهم وأصواتهم لخدمته .
- حسبهم البلاغ والبذل بما هم عليه من خير وإن كان يسيراً .
- منهجهم في الدعوة الكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة .
- يستميلون القلوب ويحببون الناس في دين ربهم سبحانه .
- يستمسكون في كل الأحوال بالهدي النبوي الشريف .
- يستنيرون بمعالم النبوة آخذين بأعنتها ممسكون بزمامها .
- يحاولون ربط المجتمع بشريعة ربهم سبحانه قدر المستطاع .
- يشيعون قيم الفضيلة بين الجميع لتنتشر فيما بين الأفراد .
- ويحذرون من الوقوع في حبال الرذيلة وطرق الضياع والهلاك .
- همهم التوعية والنصح والتوجيه والإرشاد والهداية إلى كل خير .
- يعالجون قضايا المجتمع والأمة بكل نضج وتعقل ووعي وواقعية .
- يتجنبون مواطن الخلاف والطعن في أهل العلم والفضل .
- حتى لا يوقعوا الناس في مشكلات لا نفع فيها ولا منها .

الحبر الأسود

- ينظرون إلى الأمور بدراية تامة وفهم وإمام ووعي وفطنة .
- الكلمة عندهم في كل الأحوال كنز ثمين وثروة لا تقدر بثمن .
- تقال حين تكون دواء ويُكف عنها حين يعتقد أنها داء .
- ولا سيما زمن الإذاعات التي تطير فيها الكلمة عبر الأثير .
- فتسجل ويبقى أثرها كلما عرضت ومر شريطها المرئي أو المسموع .
- ذلك هو الأسلوب الأمثل الذي يسترشد به الداعية المعتدل .
- رجال صدق مخلصون نفع الله تعالى بهم المجتمعات والأمة أجمع .
- لإخلاصهم في الكلمات وإجادتهم في كتابة العبارات .
- ويقظتهم لما يدور حول مجتمعاتهم وغيرتهم على أمتهم .
- ومعالجتهم القضايا بواقعية ووعي تام ما أمكن وبما أتيح لهم .
- ودفعهم الحرج عن مجتمعاتهم وأوطانهم من كل وجه .
- أولئك هم الصالحون المصلحون بحق .

٥- تراث الكُتّاب والمثقفين

- لولا أقلام محررة منصفة متعقلة واعية سَطَّرت لنا العلم النافع .
- لضاع في طيات النسيان وركام السنين ومرور الأزمان .
- الكتابة النزيهة منارة هدى وعلامات يهتدى بها .
- دالة على عقول ناضجة ونفوس زكية وقلوب واعية .
- كتبت ودونت وألفت ووثقت وأرخت فخلدت أجماد الأمة .
- كتباً ومؤلفات ومدونات ومجلدات صغيرة وكبيرة .
- ومطولات ومختصرات وحواشي وشروحاً ومتممات وتعليقات .
- في كافة صنوف العلم وشتى أنواع الفنون .
- مذاهب مختلفة وتوجهات علمية متباينة ومدارس فكرية متغايرة .
- علوم كثيرة متنوعة متشعبة حوَّما بطون كتب تفوق الحصر .
- يفيد اللاحق السابق ويستفيد المتأخر من المتقدم .
- كلُّ بحسب جده واجتهاده مقرباً وجهات النظر قدر الإمكان .
- مراعيّاً فروق الزمان والمكان والأوضاع والأحداث والأحوال .
- فتلاقحت بذلك الأفكار وازدهرت الحركة العلمية وتطورت .
- قوم حق ربانيون ورجال صدق مخلصين بكل معاني الكلمة .
- أضحى كتبهم ومدوناتهم مصدراً لأُمور كثيرة فهي :

الحبر الأسود

- أولاً . مصدر للعلم النافع ومرجعاً لما حواه من فنون في بابهِ .
- ثانياً . تأريخ لحقبة زمنية وثقت أحداثاً جرت زمن المؤلف .
- عكست لنا انطباعاتاً عاماً عن تلك الفترة وزودتنا بوقائع حصلت .
- ثالثاً . أظهرت اختلاف أساليب العلماء في تناول العلوم .
- وفي كُيفيات عرضها وبسطها وبيان ما فيها من كنوز جمة .
- رابعاً . لكل كتاب قيمة علمية في بابهِ لا يستغنى عنه ولا يستخف به مطلقاً .
- خامساً . الكتاب محطة فكرية ومنهجية دالة على توجه صاحبه .
- ومدى تأثيره بالسابقين ومن ثم تأثيره على الساحة العلمية عموماً .
- كل تلك إيجابيات حسنة مستحسنة نفع الله تعالى بها الأمة .
- على أيدي كتاب مخلصين ومؤلفين متقنين .
- أسهموا في بناء مجتمعاتهم وأوطانهم والأمة من وراء ذلك .
- وفقهم الله عز وجل لخدمة العلم الشريف ومن وراء ذلك هذا الدين المتين والشرع القويم .
- فطوبى لهم وحسن مآب .

٦- دعم القادة والمتنفذين

- كان وما زال للقادة والحُكَّام بصمات في مجمل الحركة العلمية .
- ودور بارز فعّال في نشر العلم وازدهار حركته .
- من خلال إقامة حلقاته وبناء مؤسساته وتشبيد صروحه .
- فعلى مر الزمان أقام الخلفاء والأمراء حلق العلم في كل علم وفن .
- انتشرت قديماً وازدهرت في كل أرجاء الأرض .
- وجمعت مخطوطات العلم وقراطيسه من كل حذب وصوب .
- وبنيت المكتبات العامة في كبريات المدن وحوضر العالم الإسلامي .
- حوت آلاف أمهات الكتب والمؤلفات والمدونات والمخطوطات .
- ثم وفي عصرنا الحديث شيدت المدارس والمعاهد والمراكز والجامعات والكليات والأكاديميات .
- وبنيت المكاتب العامة الرئيسة في أكثر المدن الزاهرة .
- وترجمت مئات المجلدات إلى عدة لغات للاستفادة مما في بطونها .
- وأنشئت المطابع الحديثة التي نسخت آلاف الكتب والمؤلفات بشتى أنواع الطباعة الفاخرة ومواصفاتها المتنوعة .
- فازدهرت حركة الطباعة والترجمة والتحقيق ومراجعات التراث .
- كل ذلك بأمر القادة والحكام إسهاماً منهم في نشر العلم وترويجه .

الحبر الأسود

- لإيمانهم الراسخ بمدى انتفاع الفرد والمجتمع من مجمل الحركة العلمية .
- فالكتاب الذي كان يوجد منه مجرد نسخ معدودة على مستوى العالم الإسلامي أضحى منه مئات الآلاف على مستوى العالم أجمع .
- وبالتالي صار من السهل جداً اقتناء نسخة منزلية خاصة .
- ثم وبتطور عالم التكنولوجيا والتقنية استحدثت النسخ الإلكترونية .
- توضع في جهاز صغير جداً بحجم كف اليد الواحدة .
- يحوي مئات بل آلاف الكتب والمؤلفات المصورة .
- ضمن برامج إلكترونية تحمّل في الجهاز في غضون ثوانٍ معدودة .
- كل ذلك يحصل وبكل سهولة ويسر وسرعة فائقة .
- وبهذا صار الكتاب في متناول اليد وفي لمح البصر .
- حيث لا حاجز زمني أو مكاني يحول دون الوصول إليه .
- بما هيئته التقنية الحديثة وعالم التكنولوجيا الباهر .
- والفضل لله تعالى في كل ذلك ثم لأولئك الحكام والقادة .
- الذين اهتموا بمسألة نشر العلم الشريف بكافة فروع ومجالاته .
- وأسهموا بكل ما أمكن من طرق ووسائل متاحة لإنجاح ذلك .

٧- كلمات العامة والغيورين

- في كل مجتمع رجال كُثُر ليسوا من أهل العلم المختصين .
- وليسوا بعلماء ربانيين أو حتى دعاة مخلصين .
- لكنهم من جملة العامة ومن الغيورين على هذا الدين القويم .
- قوم أحبوا الصلاح والإصلاح فقدموه بكلمات صادقة يسيرة .
- ونصحوا بحسب مستوى تعليمهم ولو كان بسيطاً .
- كلمات رغم سهولتها حوت معاني كثيرة ومقاصد وفيرة .
- فكل من قال حقاً فقد أصاب وإن كان من غير أهل العلم .
- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها) [الترمذي وابن ماجه] .
- والمعنى العام قبول كلمة الحق دون الاكتراث لقائلها أو لوضعه .
- كلمة الحق والقول الصواب يصلح الله تعالى به وينفع مستمعه .
- لما لها من آثار طيبة وثمرات يانعات وفوائد مثمرة ونتائج إيجابية .
- فرب كلمة صدرت من مخلص أغنت عن خطب كثيرة .
- ورب كلمة من جاهل أو كبير سن أحدثت أثراً وأوقعت في نفس مستمعيها أفضل من عالم كبير وداعية جهيد شهير .
- أثر الكلمات له وقع قوي على النفوس متى صدر من مربٍ مخلص .

الحبر الأسود

- لذا كان كل مسلم مسؤولاً عن النهوض بمجتمعه بما تيسر له .
- الكل من حماة الديار ومن جنود الثغور بما يستطيعه من كلمات .
- الجميع مطالب بالقيام بدوره لا يعذر أحد بتقصيره .
- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...) [متفق عليه] .
- مسؤولية الكلمة ليست حكراً على أحد بل هي مسؤولية الجميع .
- يتناصح أفراد المجتمع فيما بينهم كل بما يملك .
- من باب التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة .
- كل إنسان يوجه قوله الموزون لمن يستحق .
- ولو أن الناس هجروا ذلك وتركوه لفسدت المجتمعات .
- ولهلك الناس من كثرة الفساد المنتشر والمتفشي فيما بين الناس .
- لكنها الكلمة تقال للمرء ويقولها لغيره ينفع الله تعالى بها .
- مثل تلك الكلمات الصادقات تبقى وقد يبقى صداها زمن طويلاً في العقول والنفوس والقلوب .
- وقد تسطر على الورق فيستفيد منها كل من قرأها متمعناً معناها .

الفصل الثاني : الإفساد والمفسدون

- ١- الطواغيت والمفسدون .
- ٢- الفرق والطوائف والمتحزّبون .
- ٣- المتحرّرون والانفتاحيون .
- ٤- المرتزقة والمنافقون .
- ٥- الجواسيس والعملاء المخربّون .
- ٦- الأدعياء والجاهلون .
- ٧- المتعاملون والمتقولّون .
- ٨- المتعصّبون والمتمذهبون .

الحبر الأسود

هي كلمات مظلمة وبيئة قصد بها الشر
تضلّل الناس وتجرهم إلى حيث الهاوية
مناهج شتى ما أنزل الله تعالى بها من سلطان
ينطق بها ضالّ مضلّ حاد عن جادة الصواب



١ - الطواغيت والمفسدون

- أما الجن فعلى رأسهم إبليس الأكبر أكبر المضللين في الدنيا .
- يأتي من بعده ذريته الملعونة مثله المطرودون من رحمة الله تعالى .
- وأما الإنس فكل من نصّب نفسه معبوداً من دون الله عز وجل .
- وكل من ضاد شرع الله جلت عظمتة في الأرض .
- وكل من أنكر وجوده تعالى شأنه في الكون .
- وكل من أشرك به تعالت عظمتة وجعل له نداً ونظيراً في عبادته .
- وكل من رفض الانصياع لمراده والانقياد لمنهجه .
- وكل من آذى المسلمين المستقيمين والمؤمنين الصادقين .
- وكل من عادى الأولياء والأتقياء والصالحين .
- كل أولئك قوم سوء اختاروا طريق الظلام وحاولوا نشر الضلال .
- وما يزالون يطمسون معالم الحقائق .
- ويدحضون الحق من كل وجه قدر استطاعتهم .
- يجتهدون بكل قواهم لتحسين صورة الباطل ونشره .
- ترويحاً للمنكر والرذيلة والفسق والفساد .
- قوم شؤم لا ينشطون إلا في الشر والظلام والضلال .
- غاية أمانيتهم تدمير القيم والأخلاق ونشر الفوضى العارمة .

الحبر الأسود

- كل ما تركوه خلفهم إرث فاسد عفن عقباه ضرر ووبال وخسران .
- جميع كلماتهم وعباراتهم وكتاباتهم سوداء مظلمة مضللة .
- تنم عن نفوس تائهة ضالة خبيثة ضائعة .
- لا عمل لهم سوى مضادة الحق وأهله بكل ما يستطيعون .
- لإرضاء شرور نفوسهم الخبيثة وشهواتها الدنيئة .
- حقيقة أمرهم أنهم أئمة فساد وضلال وشر مستطير .
- عدوهم الأول من لزم الحق وقال به ودافع عنه .
- فيحاولون القضاء عليه بكل ما أمكن من طرق ووسائل .
- جل أعمالهم وخطواتهم في الخفاء كخفافيش الظلام .
- تتسم بالغموض والتآمر والدسائس والخديعة .
- قوم خبث ومكر يصوّرون الأمور على غير حقيقتها .
- وصولاً إلى أهدافهم المرجوة بأي طريقة كانت .
- أولئك هم المفسدون في الأرض بغاة الفتنة المضللون .
- لا خير فيهم ولا في نجواهم مطلقاً .
- قطع الله تعالى دابرهم أبداً .

٢- الفرق والطوائف والمتحزبون

- الحزبية فرقة واختلاف كل فرح بما لديه يحسب أنه على الحق المبين .
- يدور اتباعها حول أفكار ما يتمحورون حولها وينشطون لنشرها .
- الحق من وجه نظرهم ما هم عليه وما حوته أفكارهم وتوجهاتهم .
- ولا حق خارج نطاق ذلك بحسب تصوراتهم .
- جل أعمالهم ضمن دائرة قناعاتهم وإن كانت لا تقنع الآخرين .
- لا يهتمون إلا لما يريدون على وجه الخصوص .
- الناس عندهم في ضلال مبين وجهل مستحكم أو خطأ ظاهر .
- فقط لمجرد مخالفتهم فلا سبيل للخلاص إلا باعتناق أفكارهم .
- يفكرون بقطبية شديدة لا تقبل النسبية ولا التعددية .
- كما لو أن الناس يجب أن يكونوا على عقل رجل واحد .
- يحاولون التأثير على المجتمعات ليكونوا أتباعاً لهم .
- مجرد الخلاف مع الآخر يعني التفرق عنه والانشقاق عنه .
- منظرهم أشد الناس تحيزاً لآرائهم وتعصباً لأفكارهم .
- كل نتائجهم العلمي والفكري يقوم على أسس وأصول من وضعهم .
- يجيرون النصوص الشرعية لتكون مؤيدة لأفكارهم وتوجهاتهم .
- وينتقون منها ما يريدون ويتركون ما لا يريدون .

الحبر الأسود

- قد يلجؤون إلى نصوص ضعيفة بل وربما واهية لتأكيد توجهاتهم وتأيد أفكارهم .
- في حين قد يتركون نصوصاً أخرى أقوى منها لأنها تخالف فكرهم .
- التذبذب صفة واضحة في كل مواقفهم ومعطيائهم ونتائجهم .
- لأنهم لا يستمسكون بالحق بقدر تمسكهم بأفكارهم .
- وبآراء مضطربة منحرفة عن الاعتدال والاتزان والإنصاف غالباً .
- أظهر صفاتهم تحيزهم المقيت وتحزبهم المذموم وجهلهم المنهجي .
- قد يوصف بعضهم بالتطرف الفكري والقصور العلمي .
- وهذا ولا ريب ليس هو منهج من طلب الحق وسعى إليه .
- لأن الحق يسع الجميع وفي كل الأحوال .
- وليس مصالح قوم على حساب آخرين .
- من هنا كانت كلماتهم وعباراتهم لا تخدم الصالح العام .
- بقدر ما تخدم مصالحهم وتوجهاتهم هم .
- وهذا ما جعل عطاءهم في جملة لا يتسق مع الجميع .
- وبالتالي لا يمكن أن ينتج عنه الإصلاح الحقيقي الذي يعم المجتمع .
- والأمة من وراء ذلك .

٣- المتحررون والانفتاحيون

- قوم لهم نظرة مختلفة عن المنظور الإسلامي العام المعتدل المتوازن .
- يحملها قائمة على فصل منهج الدين عن واقع الحياة وشؤونها .
- مما يعني أن الدين شيء والحياة الدنيا شيء آخر لا علاقة بينهما .
- فكانت جل أفكارهم وكلماتهم مفارقات على حساب الدين .
- معتقدين أن التقدم والتطور لا يمكن أن يتحقق مطلقاً إلا بالبعد عن منهج الدين المقيد لذلك بحسب زعمهم .
- فتنزلوا عن كثير من تعاليمه وتشريعاته .
- أو قاموا بعمل تسويات لا تخلوا من تنازلات عن الثوابت .
- زاد الحال ببعضهم أن اعتقد أن الدين عائق حقيقي .
- وحاجز يحجب كل تقدم وتطور وتحديد إيجابي ممكن .
- لأن تعاليمه عبارة عن قيود وحواجز تعيق الإنسان من الانطلاق نحو التنمية الحقيقية بكافة صورها .
- مما دفعهم بالنأي عنه في مجمل مناحي الحياة ونواحيها .
- وطائفة اعتقدوا أن الدين مجرد طقوس وشعائر تؤدي ليس إلا .
- لا دخل لها أصلاً في واقع الحياة ومعتزكها .
- وطائفة ثالثة اعتبرت أن الدين مجرد تعاليم وتشريعات .

الحبر الأسود

- من الممكن جداً استبدالها بغيرها من أفكار لا مانع من ذلك أبداً .
- بدعوى أن تغير الزمان والمكان والأوضاع والأحوال يفرض ذلك .
- أخطؤوا حين حاولوا استيراد علمانية الغرب وأفكاره وتراثه إلينا .
- وفحش غلطهم حين اعتقدوا أن فساد الدين عندهم وعندنا سواء .
- فدينهم المحرف أوقعهم في عصور ظلام وتخبط .
- رفضت معه كل وجوه التقدم وصور الحضارة تماماً .
- لكن ديننا الحنيف لا جمود فيه مطلقاً .
- سهل سمح يواكب كل تقدم وتطور ومستجدات حاصلة .
- وهذا ولا ريب فرق كبير شاسع وبون واسع .
- بين دين محرف يرفض تماماً ودين حق يواكب ويساير .
- الإشكالية الحقيقية ليست كامنة في الدين وتعاليمه .
- بقدر ما هي في فهم تلك التعاليم ومن ثم في تطبيقها .
- والعقول التي جهلت ومن ثم ضلت وتاهت هي السبب .
- وليس الدين الحق بمنهجه الصدق وتعاليمه السمحة هو المسؤول .
- الجهل والضلال لا يعنيان بحال ديناً منحرفاً .
- وإنما يعني سوء اتباع أو بُعد واقع عن منهجه بابتداع حاصل .
- فسوء الفهم أو سوء التطبيق يخاطب به من وقع فيه ويتحمل تبعاته .
- وليس الدين القيم بشرعه القويم . فلنفهم ذلك جيداً .

٤ - المرتزقة والمنافقون

- النفاق والارتزاق أسوأ مساعي البشر في كل مجتمع على الإطلاق .
- قوم همهم الأول التوصلح على حساب المجتمع والوطن والأمة .
- لا يهتمون لرقى ولا لتقدم أو تطور أو أدنى مصالح عامة .
- بقدر اهتمامهم بمرادهم ومصالحهم الفردية ومنافعهم الشخصية .
- لا مبادئ لهم ولا قيم ولا أخلاق ولا أصول ولا منهج .
- يؤيدون أو يرفضون على حساب الحق بأي ثمن ولأي سبب .
- يحدثون فتناً ويوقعون الناس في مشكلات لا حصر لها .
- أصواتهم عالية وأقلامهم حادة وأحكامهم جريئة وكلماتهم مسخرة لمن يدفع أو من يغلب .
- يتلونون بحسب الأوضاع ويتقلبون مع الأحوال .
- يتكلمون في كل شيء ولا يقفون عند حدود العلم والمعرفة .
- يضربون أهل الحق ببعضهم حين يناصرون طرفاً على آخر .
- وحين يظهرون أنهم أعوان للحق أنصار للكلمة الصادقة .
- يحرصون على سكب الرأي العام ما أمكن .
- مظهرين الخوف على المصالح العامة للمجتمع والوطن .
- ففي الظاهر هم أكثر الناس حرصاً عليها .

الحبر الأسود

- وفي الحقيقة هم أكبر من يضر المجتمع والوطن والأمة .
- وأكثر الناس تمصلحاً فيها على حساب الجميع .
- كلما تم أغلبها حق يراد به باطلاً ونور من ورائه ظلام .
- لا خير في نجواهم ولا في محتوى أقلامهم ولا في إرثهم وتراثهم .
- خفافيش ليل أضحت مع الوقت لا تخشى النهار .
- كم هدموا وفرقوا وأفسدوا وشتتوا ولبّسوا وشوهوا .
- بل وأعانوا الأعداء على مجتمعاتهم وأوطانهم وأمتهم للأسف .
- نتيجة كلما تم المسمومة ومواقفهم المزعومة وأقلامهم المأجورة .
- لا يمكن أن ينهض مجتمع أو وطن على أكتاف أمثال هؤلاء .
- ولا يمكن أن يكون منهجهم ذاك هو حق .
- كيف وفسادهم من كل وجه ظاهر وخفي .
- لا يمكن بحال أن يتحقق به صلاح أو إصلاح أبداً .

الحبر الأسود

٥- الجواسيس والعملاء المخربون

- أهل الغدر والخديعة والدسيسة والمكر والمؤامرات والخيانات .
- يبيعون الدين والوطن والغالي والنفيس .
- لا عقيدة لهم ولا وازع ولا منهج ولا مبدأ .
- أحقر الناس لا ضمير يمنعهم أو رادع يجرهم عن الخزية .
- نفوسهم المريضة وقلوبهم الفاسدة مليئة بالردى والحقد والأذى .
- لا خير فيهم يرتجى ولا نفع منهم يؤمل .
- حقيقتهم رجس ونجس ودنس .
- كلما تم سوداء مظلمة كوجوههم الكالحة .
- هم أكبر من يعين العدو على دينه ويساعده على وطنه .
- قوم شؤم ضلال ومعاول هدم في الخفاء .
- يدسون السم في الدسم ويفسدون العسل بالعلقم .
- كم أفسدوا وبسوء فعالهم هدموا وبدسائسهم فرقوا .
- قسم منهم مندس في مجتمعه قد باع كل ما يمكن أن يعتز به من دين أو وطن أو ذا قيمة .
- لأجل أطماع شهوات أو أهواء وشبهات .
- شعور الانتماء الديني والوطني عندهم مفقود تماماً .

الحبر الأسود

- فلا يجد أحدهم في قلبه أدنى علاقة بدينه أو رابطة بوطنه .
- نتيجة خواء نفسي تام وفساد عقلي مطبق .
- فلا يرى بأساً بالخيانة العظمى بتاتاً .
- بل ربما رأى ذلك فوزاً وانتصاراً لنفسه بقيامه بعمل مغامر جريء .
- يعتقد أنه يحقق ذاته فيه بما لا يستطيع غيره فعله .
- وقسم آخر ظاهر وظفه العدو ليكون بوقاً له في مجتمعه .
- محسوب على وطنه لكن ولاءه للعدو بذرة شر مزروعة فيه .
- كل إسهاماته تصب في مصلحة عدو المجتمع والوطن .
- ينادي بذلك على رؤوس الأشهاد لا يرى بذلك بأساً .
- متذرعاً بضرورة التقارب مع الخصوم مسايرة للأحداث .
- فبدلاً من كشف الشبهات يبرر ليلبس ويتواطأ ليفسد .
- هؤلاء وأمثالهم حشرات ضارة في بيئة سليمة يجب القضاء عليهم .
- هم بكل حال عين العدو وأذنه في مجتمعهم ووطنهم .
- باعوا دينهم الحنيف بعرض قليل ومجتمعهم ووطنهم ببخس زهيد .
- ومن فعل ذلك فلن يرى سواها ثميناً مهما كان .
- ومحال من كان هذا شأنه أن يتفوه بكلمة يصلح بها شأناً أو يزيل بها عن مجتمعه ووطنه عنثاً مطلقاً .

٦ - الأدعياء والجاهلون

- الجاهل عدو لنفسه يحملها على الطيش والسفه والتخوض فيما لا يعلم فقد يضرها ويفسد مجتمعه وهو يظن أنه من المصلحين .
- والدَّعي يحسب نفسه من أهل العلم والرأي والفكر والمقولة .
- كلاهما قد يوقع الناس في فتن ومحن وحيرة من أمرهم بجهله وغفلته .
- من أبرز صفاتهم الظاهرة قصور الفهم وسوء التقدير والتصور الخاطئ وقلة الوعي .
- سريعاً ما ينخدع أحدهم فينجرف خلف كل مضلل وبوق وناعق .
- قد يقع في دائرة التشدد والتنطع لعدم فهمه تعاليم الدين الحق .
- يتجراؤون وينصبّون أنفسهم حكاماً على الناس ويرمونهم بالتهم .
- يقيسون الناس على أنفسهم ولا يقيسون أنفسهم على الحق .
- الجهل بأمور الدين وتعاليمه والفهم الخاطئ صفتان ظاهرتان فيهم .
- وتقديم الرأي وتفردهم به وسيلة معتمدة عندهم لا يمكن إغفالها .
- يجهلون كيفية التعامل الصائب في جُلّ المواقف فضلاً عن الأصوب .
- يسيئون الفهم غالباً ويرمون الآخرين بذلك وليس هذا هو شأن العلماء الربانيين بحال .
- تصرفاتهم لا ينتج عنها غالباً نفع أو إصلاح حقيقي للمجتمع .

٧- المتعلمون والمتقوّنون

- قوم تعلموا نزرأ من العلم الشرعي أو جرعاً منه بمنهجية غير دقيقة .
- لم يواصلوا التعليم المؤهل لصاحبه من الناحية الشرعية والمنهجية .
- وبالتالي جهلوا كيفية التأصيل العلمي والمنهجي الدقيق .
- وهذا ما أوقعهم في الجرأة على الدين الحق كثيراً .
- معتقدين أن ما عندهم من العلم يؤهلهم للنظر والاجتهاد والفتوى .
- أكبر مشكلات المجتمعات تأتي من مثل هؤلاء الناس .
- الذين يُحسبون على الساحة العلمية للأسف .
- وهم لم يبلغوا حد العلم والفهم والوعي المرجو حقيقة .
- فيتكلمون قبل أن يفهموا ويحكمون قبل أن ينضجوا .
- في تصورهم أنهم أصابوا كبد الحقيقة بكل سهولة ويسر .
- معتقدين أن أقوالهم هي الصحيح الصواب بل الأصح الأصوب .
- من مناهجهم اجتزاء النص من سياقه وبتره عن مضمونه .
- محورين الكلام متلاعبين بالألفاظ ومغيرين المضامين .
- يغلب على كثير منهم الجهل والتخوُّص فيما لا يعرف .
- نظرهم غالباً ما تكون قاصرة عن العموم والشمولية .
- لا ينظرون في كل حيثيات العلم والأقوال المعتبرة .

الحبر الأسود

- منهج أكثرهم رفض المخالف جملة وتفصيلاً فلا يقبلون منه شيئاً .
- يعطون أنفسهم أحقية الحكم على الآخرين دون سواهم .
- من السهل جداً تغيير مواقفهم ممن حولهم بحسب ما يبدو لهم .
- لا يرون بأساً في تغيير مواقفهم لكنهم يذمون الآخرين على ذلك .
- يقدمون آراءهم وقناعاتهم على مدلول النصوص الشرعية .
- الأصل عندهم العقل ومن ثم يبحثون عما وافقه من نقل .
- لا تزيدهم الأحداث والوقائع إلا جهلاً وجرأة وتطرفاً .
- يجهدون أنفسهم في تبرير مواقفهم رغم كثرة الأخطاء والمخالفات .
- ولا يقبلون من غيرهم الأعذار مهما كانت واقعية ومنطقية .
- يغلب عليهم التخبط والعشوائية لعدم ثباتهم على منهج حق ثابت .
- عامة مواقفهم فتحت على الأمة أبواب شرور كبيرة كثيرة .
- فلبسوا وأوهموا وزعزعوا وفتنوا وحرفوا وتعصبوا ولم يتفطنوا .
- وليس ذلك من المنهج الحق المعتدل المتزن المتعقل في شيء .
- فليتهم أنصتوا وسكتوا ولم يتكلموا ويحكموا ويكتبوا .
- حتى لا يحدثوا ما أحدثوه من فتن ومحن أفسدت وأضررت بالأمة .
- وهم يحسبون أنهم مهتدون صالحون مصلحون .
- فرق كبير جداً بين العالم الحق والمتعالم المتقول بغير علم .

٨- المتعصبون والمتمذهبون

- قد ينتج عن التمدّيب المتشدد فساد عريض حين يعتقد الفرد أن الحق واحد لا يتعدد فيحجر واسعاً .
- فالأصل في التمدّيب سلوك طريق الفقهاء المتبحرين في العلم .
- لكن هذا لا يعني بحال قصر العلم عليهم فقط دون سائر العلماء .
- لا يعني التشدد المذموم والتحيز المقيت ورفض الآخر تماماً .
- لا يعني إغلاق الباب أمام النقاش الإيجابي الحر النزيه .
- لا يعني رفض النسبية والتعددية في الأقوال وكأن الحق واحد .
- فهو إما صواب مطلق وإما خطأ مطلق لا مجال للتقارب مطلقاً .
- لا مساحة لدى أكثرهم لقبول الآخر ولو خالف بكلمات قليلة .
- لا يهتمون للحق المطلق بقدر ما يهتمون لإثبات صحة أقوالهم .
- يستحسنون الرأي والتعصب ويهملون ضوابط المنهج الحق وأصوله .
- الحق من وجهة نظرهم وإن كانت قاصرة ما هم عليه مما وافقهم والخطأ بكل حال مع مخالفهم .
- يرون أنفسهم الأولى بكل شيء وفي كل الأقوال دون الآخرين .
- عامة كلماتهم وعباراتهم وفكرهم وإرث أقلامهم تعصب وتحيز .
- لا رفق فيها ولا رأفة بل تشدد مذموم لدرجة لا تقبل .

الحبر الأسود

- لا يتولد عنه إلا النفور والحزازات والتحفظات مما جعلهم لا يهتمون بمسألة الإصلاح الحقيقي المثمر بما يوافق الصالح العام .
- بقدر ما يهتمون للانتصار لمذهبهم ولو أحدث ذلك فساداً عظيماً أو حوى خللاً ظاهراً وزللاً بيناً .
- أقبح صفاتهم الحدة على المخالف وتجريده من الحق .
- وربما سوء الظن به والتشكيك في درجة إيمانه وصحة عقيدته .
- مما يحملهم على عدم إنصافه مهما كان أو إعداره مهما قال .
- أمثال هذا الصفات والأقوال والأفعال والمواقف لا يمكن أن يصدر عنها إصلاح حقيقي تنموي نهضوي .
- من شأنه رفعة المجتمع والوطن ودفع عجلة التقدم الفعّال في واقع الأمة بوجه عام .
- كان الأولى بأولئك بكل حال سلوك مذهب خير الوري ﷺ .
- الذي يسع الجميع ولا خلاف فيه ولا عليه .
- فهديه ﷺ خير هدي ومنهجه أفضل منهج ذلك الدين القيم .

الفصل الثالث : تأثير الحاكمين

- ١ - الدين يحكم بشريعته .
- ٢ - القانون يحكم بنظامه .
- ٣ - العادات والتقاليد تحكم بموروثاتها .
- ٤ - العرف يحكم بمسلماته .
- ٥ - التعليم يحكم بمناهجه .
- ٦ - الإعلام يحكم بتأثير وسائله .
- ٧ - الأحزاب تحكم بتبعيتها .
- ٨ - الظروف تحكم بواقعها .
- ٩ - الفكر يحكم بقناعاته .
- ١٠ - الدخيل يحكم بانتشاره .
- ١١ - الشهوات تحكم بغلبتها .
- ١٢ - الجهل يحكم بممارساته .

هي قيود تحكم الناس طوعاً أو كرهاً
لا يستطيعون الانفكاك عنها أو منها بحال
يتعالى بعضها على بعض بحسب المجتمعات
تنظم حياة الناس أو تفسدها باسم النظام
وبقدر قوة الحاكم يكون التأثير على الكلمات



١ - الدين يحكم بشريعته

- قداسة الدين تجعله أول الحاكمين في عامة مجتمع .
- له مطلق الحاكمية الأولى لدى الأفراد والشعوب .
- تعاليمه وتشريعاته لا تضاهى غالباً .
- حتى المجتمعات المفتوحة للدين تأثير على سلوكيات أفراد كثير .
- كل ذلك لأنه كما لو كان إراثاً تتوارثه الأجيال .
- يأخذه الأحفاد والأولاد عن الآباء والأجداد وهكذا .
- مما جعل منهجه حتميات لا تقبل النقاش أو التفاوض .
- فانقاد اتباعه لها انقياداً تاماً دون أدنى تفكير .
- الدين منهج عام يسيّر حركة الناس وينظم حياتهم .
- ويرسم للأفراد والشعوب والمجتمعات طريقة تعاملهم مع بعضهم .
- وفق منهجيات من المفترض أن تكون محترمة متساوية الكفة .
- انطلاقاً من مبدئ المساواة والمعاملة بالمثل والتكافل الإنساني العام .
- فالدين في الأصل يعلم الناس تلك المفاهيم القيمة الأصيلة .
- وينبذ التطرف والانحراف والتمايز والغلو والتشدد .
- يحارب كل فكر ضال من شأنه إذكاء نار الخصومات والحروب .
- أو نشر فكر التمييز العنصري المتطرف أو حب الانتقام من الآخر .

الحبر الأسود

- أو قطع العلاقات والروابط الإنسانية العميقة التي تجمع عموم البشر .
- أو تعميم منهج الإقصاء المقيت والتفرد بالأفضلية المطلقة دوماً .
- كل تلك الضلالات من الأولويات التي يحاربها الدين وينبذها وينهى عنها من كل وجه .
- بل ويكشف زيف كل من دعا إليها تحت أي ذريعة كانت .
- تأصيلاً لكل نفع وخير ونهياً عن كل فساد وضرر .
- فكانت تعاليمه وتشريعاته من حيث الجملة خير على خير ونور على نور لا يمكن أن ينشأ عنها أدنى فساد مطلقاً .
- لأنها من لدن حكيم خبير ولا ينبئك مثل خبير .
- ولها سلطان يعلو كل سلطان .
- الجميع ينقاد له بكل تبعية وقداسة وتعظيم واحترام تام .

٢- القانون يحكم بنظامه

- يأتي القانون والنظام ثاني الحاكمين في علم البشر من حيث العموم .
- فما من مجتمع إلا وتجد فيه مئات القوانين والأنظمة الحاكمة .
- على اختلاف المجتمعات وطبقات الشعوب وتنوعها .
- وأنظمة القوانين عبارة عن مواد ونصوص وقرارات ولوائح وآليات عمل وشكليات تقنين متعارف عليها قديماً أو حديثاً .
- يتم تعديلها وتغييرها بعد كل فترة بما يناسب الوضع الجديد ويوائم حركة التغير الحاصل في المجتمع .
- وعادة القانون يحكم لفترة أو لعدة فترات يتلوها تغير حاصل .
- سواء كان التغير جذرياً أو جزئياً .
- كما تختلف قوانين المجتمعات المعمول بها نظراً لأمر كثيرة .
- من المفترض أنها من حيث العموم تحقق مصالح المجتمع ومنافعه .
- وتنظم حركة الناس بما يضمن الحقوق والواجبات .
- وتلبي احتياجات أكبر شريحة ممكنة فيه إن لم يكن كل الأفراد .
- من خلال إقامة ميزان العدل والمساواة بين الجميع .
- بكفالة كافة حريات الشعوب الخاصة والعامة دون تمييز .
- كما أن القوانين العامة قد تتشابه فيما بين المجتمعات والشعوب .

الحبر الأسود

- فتكون حينها كقيم مطلقة يعمل بها الناس في كل مكان .
- أما القوانين الفرعية فلا تتجاوز الإقليمية أو حتى القومية أو القطرية .
- والسر في بقاء سريان بعض القوانين أكبر وقت ممكن وانتشاره في مجتمعات كثيرة ومختلفة .
- هو مدى نفعيته لعموم البشر بوجه عام .
- وضمانه لكافة الحقوق والواجبات قدر الإمكان .
- وملائمته للمكان ومتغيرات الزمان ومستجداته .
- واستيعابه لمعظم فوارق الأوضاع والأحوال فيما بين المجتمعات .
- وهذا ولا ريب لا يتحقق إلا إذا اهتم بأمرين اثنين :
- الأول . مراعاة قيم المساواة بين الجميع دون تمييز أبداً .
- الثاني . التوازن اللازم والاعتدال المطلوب فيه ما أمكن .
- وسلطة القانون لا تهتم بإقناع العقول مما يجعلها قسرية أحياناً كثيرة .
- تعتمد على الزام الناس بها ولو لم يقتنعوا ويرضوا بنظامها .
- لكنها تحكم حياتهم بسوط السلطة وقوة القانون .
- لذا تأتي بعد سلطة الدين الذي يقنع العقول بسمو تعاليمه ورفعته .

٣- العادات والتقاليد تحكم بموروثاتها

- ثالث طبقات الحاكمين العادات والتقاليد وسائر الموروثات المحترمة .
- التي قد يطغى سلطانها على الأنظمة والقوانين بل ربما يطغى حتى على تعاليم الدين أحياناً .
- ولا سيما عند كبار السن ممن يعتبر العادة والتقليد أولى من كل شيء وفي كل الأحوال .
- وهذا الاحترام المبالغ فيه للعادات والتقاليد قد يضر الشعوب .
- فيختل بذلك ميزان الأولويات المعمول بها في المجتمع .
- ولا سيما حين تقدم على ما هو أولى منها كالنظام والقانون والدين من باب أولى .
- والعادات والتقاليد غالباً ما يعمل بها من غير وعي ولا حس يقظ .
- حين يجد الإنسان نفسه متبعاً لها دون فهم لها أو قناعة .
- حسب السيرة على ما سار عليه سابقوه من آباء وأجداد .
- وتصنف هذه الأمور عادة إلى حسن مقبول وقبيح مرفوض .
- فالمقبول يأتي ضمن إطار الأخلاق الحسنة ويندرج تحتها .
- أما المرفوض فيحسب ضمن سياق السلوكيات المنحرفة .
- وما من شعب أو قوم إلا ولهم عادات وتقاليد تحكمهم .

الحبر الأسود

- يجدون أنفسهم ملزمين بالاحتكام إليها ولا قدرة لهم على معارضتها أو الانفكاك عنها .
- لأنها تمثل ثقافة لهم وتأريخاً قد يفخرون به ويتباهون بالتمسك به .
- وقد تتشابه عادات وتقاليد الشعوب وقد تختلف .
- وقد يكون منها ما هو محترم عند شعب لكنه لا قيمة له عند آخرين والعكس صحيح أيضاً .
- وتكثر هذه الأمور في المجتمعات المغلقة والمغلقة وشبه المغلقة .
- في حين تقل وتنحسر في المجتمعات المدنية والمنفتحة .
- وبالجملة فالعادات والتقاليد سلطة على كثير من أبناء المجتمع .
- يجدون أنفسهم يسيرون في طورها ولو من غير وعي أو قناعة .
- لكنها بالمحصلة تحكم حياتهم شاءوا أم أبوا .
- ومن خرج عنها وجاهر بذلك يسقط في مجتمعه وتقل قيمته .
- ويعاب عليه فعله حتى يرجع ويسلم بحكم تلك الموروثات .
- ولو مجاملة أمام الناس ولا سيما في المحافل والمناسبات .
- ولو عن غير رضا منه ولا اقتناع .

٤ - العُرف يحكم بمسلماته

- رابع طبقات الحاكمين في المجتمع هو العرف السائد في المجتمع .
- الذي سرى بين أفراد الجميع ورضوا به وتقبلوه فيما بينهم .
- هذه الأعراف مع الوقت تصبح كما لو كانت مسلمات مفروغ منها لا نزاع فيها ولا تقبل النقاش .
- وهي أعراف منها الحسن المستحسن ومنها القبيح المستقبح .
- أما العرف الحسن فهو مقبول ولا غضاضة من العمل به .
- ويأتي من باب ما رآه الناس حسناً فهو عند الله تعالى حسنٌ .
- وهو حينها يندرج تحت تعاليم الدين الخفيف وما يدعو إليه من خير وبر وفضائل .
- وأما العرف القبيح فهو مرفوض تماماً لأنه يمثل مشكلة حقيقية .
- وتتولد في المجتمع بسببه أخلاقيات مذمومة وسلوكيات منحرفة .
- وممارسات يجب القضاء عليها مع الوقت حتى لا تتفشى .
- وتختلف الأعراف من مجتمع لآخر ومن شعب إلى غيره .
- كما تختلف درجة التمسك بها مع مرمر الزمن .
- فعرف يبقى في المجتمع وقد يقوى مع الوقت .
- وآخر قد يتغير فيتلاشى منه ولا يعمل به أحد .

الحبر الأسود

- والأعراف عادة ما تكون أقل شأنًا من العادات والتقاليد الموروثة .
- لكنها أحياناً تتخذ صبغة العادات والتقاليد الدائمة .
- وأكثر الناس عملاً بالأعراف كبار السن وطبقة العامة من الناس .
- وأكثرهم تمرداً عليها طبقة الشباب والمتمدّنين والمنفتحين .
- والعرف أحياناً يكون معيناً للإنسان على فهم الحياة .
- وأحياناً يأتي بنتائج عكسية فيكون من أقوى أسباب التخلف والرجعية والانغلاق الفكري .
- وبالجملة فمسلمات الأعراف لها قوة حضور في تصرفات الناس .
- تحكم حياتهم بملزمات هم من ألزم أنفسهم بها .
- فكم من أعراف نفعت المجتمع وكم من أعراف أضرت .

٥ - التعليم يحكم بمناهجه

- رغم كون التعليم هو خامس طبقات الحاكمين في المجتمع .
- إلا إن صوته هو الأعلى في أي مكان ربما حتى على صوت الدين .
- والسبب في ذلك لأنه يُعنى بالنشء وتغذية عقولهم وفق المراد .
- لذا قيل أن سياسة كل دولة تبدأ من التعليم .
- فمناهجه المعتمدة ومواده المعدة وهي بالعشرات بل المئات .
- يتناولها الطالب عبر عدد من السنين المتتالية المتتابعة .
- مما يعني تكريس كل ما من شأنه العمل بموجبه مستقبلاً .
- وبالتالي فالتعليم سلاح خطير بكل أوجهه الثلاثة .
- سواء كان تعليمًا ممنهجاً وفق مناهج معدة .
- أم تعليمًا مدججاً وفق برامج خاصة لإعطاء مخرجات محددة .
- أم تعليمًا مبرمجاً على نحو معين لإعطاء نتائج مقننة .
- وتأثير التعليم بالغ على الأفراد والجماعات من ناحيتين :
- الأولى . أن عنايته تبدأ من سن الطفولة وحتى ما بعد سن الشباب .
- الثانية . أنه يد السلطة الحاكمة توجهه وتشكله كيف شاءت .
- مما يعني أنه بوسعها إخراج جيل بل أجيال متتابعة على نمط معين .
- وبالأخص إن كانت مجتمعات مدنية منفتحة لا تهم بمسألة الدين .

الحبر الأسود

- وأمر يفوق ذلك خطورة وهو أن تكريس التعليم عبر سنوات الدراسة الطويلة .
- يحصل للإنسان منذ نعومة أظفاره وحتى يشتد عوده .
- مما يعني أنه من الصعب عليه بل ربما من المستحيل عليه الانفكاك عن تلك المناهج التي ترسخت في خلده وتجدرت في عقله .
- وهذا ما أعطى التعليم سلطة شبه مطلقة في حكم الشعوب .
- وفي رسم الخطوط العريضة للمجتمعات وثقافتها .
- وفي التعريف بها وبهويتها الطاغية عليها .
- وفي توجيه تصرفات الناس وسلوكياتهم في حياتهم المعيشية .

٦ - الإعلام يحكم بتأثير وسائله

- الحركة الإعلامية بمجملها هي سادس الطبقات الحاكمة في المجتمع .
- لما لها من قدرة على إحداث التغيير المطلوب فيه وبكل سهولة .
- والإعلام اليوم في حقيقته صناعة تستطيع محورة المجتمعات .
- وفق ما أراد المتحكم فيه والمسيطر عليه وعلى مرافقه العامة .
- وللإعلام وسائل مختلفة تتفاوت من مجتمع لآخر .
- قد تصل أحياناً لدرجة الخطر من حيث قوة التأثير .
- والقدرة الفاعلة على إحداث التغيير المطلوب على أرض الواقع .
- تكمن فاعلية تلك الوسائل من حيث مدى انتشارها .
- ومن حيث المصدقية المتمثلة بها ورجع صداها في المجتمع .
- ومن حيث إمكانية تملك الأفراد لها وتمكنهم منها .
- ومن حيث تنوع تلك الوسائل ولا سيما في عصر التكنولوجيا .
- كل ذلك أسهم وبقوة في توجيه الرأي العام في المجتمعات .
- بل وفي كافة أنحاء الأرض وفي تغيير الأفهام والتأثير على القناعات .
- ولا سيما الوسائل الحديثة التي أحدثت فرقاً كبيراً .
- فالتلفاز والمذياع والصحف والمجلات أضحت محدودة التأثير .
- مقارنة بطرق التواصل الاجتماعي عبر الشبكة العنكبوتية .

الحبر الأسود

- وعبر الأجهزة المكتبية والمحمولة بكافة برامجها وتطبيقاتها المختلفة .
- كل ذلك أثر بقوة على الأفراد والمجتمعات .
- من الناحية الإيجابية حين ساعد على التعليم والتثقيف والتوجيه وإعادة التوجيه ونشر الوعي والفكر .
- ومن الناحية السلبية حين أسهم في تغيير المفاهيم وزعزعة القناعات والتشكيك في الثوابت والتلبس والتضليل وقلب الحقائق وتشويهها .
- قليل من الناس من لديه القدرة على كشف ذلك الزيف والضلال .
- كل ذلك عبر فضاء مشحون بمفاهيم حكمت العالم وأثرت فيه .
- وجعلته خاضعاً لما يملئ عليه بكرة وأصيلاً بما يث عبر الأثير .
- فحكم الإعلام العالم كله بوسائله المتباينة الإيجابية والسلبية .
- التي وصلت إلى حيث مخادع النوم دون أدنى حواجز .
- والإنسان على فراشه لم يرفع رأسه من على الوسادة .

٧- الأحزاب تحكم بتبعيتها

- الطبقة السابعة من طبقات الحاكمين في المجتمع هي الحزبية .
- التي تقسم المجتمع إلى أحزاب و فرق وطوائف وقوميات وعرقيات .
- تتجاذب فيما بينها السلطة بصورة مباشر أو غير مباشرة .
- ومن وراء ذلك ولا ريب التأثير على الأفراد والجماعات .
- الحزبية تمزق المجتمع وتقسّمه إلى أجزاء متفرقة وتكتلات متحزبة .
- فتتمزق من وراء ذلك وحدته وينفطر عقد التكافل فيه .
- وبالتالي غالباً ما يضيع مبدأ المحافظة على المصالح العامة .
- نتيجة التجاذبات بين الأطراف الحزبية والطائفية والقومية والحركية .
- كلٌ منهم يسعى لتأييد مساعيه وتقوية موقفه ولو كان ذلك على حساب الآخرين والمجتمع والوطن .
- ويوجه أفرادَه وفق منهجه المتبع المحدد الذي يريده ويسعى إليه .
- وهذا خطأ وخطر لأن مصلحة المجتمع لا تتحقق إلا بتضافر الجهود .
- والحزبية والطائفية والقومية والحركية تبدد الجهود وتفرق الجمع .
- حين ينخرط الفرد في تبعية تامة تحكمه وتسيّره على نحو معين .
- لا ينفك عنها ولا يحيد لدرجة الولاء التام الذي لا يقبل النقاش .
- قد يصل الحد لدرجة تجويز الخروج عن تعاليم الدين .

الحبر الأسود

- أو تبرير تجاوز القانون العام المعمول به في المجتمع .
- هذه هي أكبر مشكلات الحزبية والطائفية والقومية والحركية .
- حين تحكمه تيارات مختلفة لا تهتم بمسألة وحدة المجتمع .
- ولا تعير الولاء للوطن بالدرجة الأولى بقدر الولاء لذلك التيار .
- فيتمزق المجتمع ويفسد نسيج وحدته بأيدي أبنائه .
- نتيجة تباين الأفكار واختلاف التوجهات والتبعيات المتعددة .
- وهذا ما جعل حكم الحزبية يغلب حكم الدولة غالباً .
- وربما يغلب حكم النظام والقانون السائد فيه .
- وقد يتجاوز الأمر ذلك فيغلب حكم شريعة الدين للأسف .
- تلك هي خطورة حكم الحزبية المقيت .

٨- الظروف تحكم بواقعها

- ثامن طبقات الحاكمين هي الظروف وواقعها الحاصل .
- فلسان حال الواقع يفرض على المجتمع تغيير أشياء كثيرة لمسايرته .
- وحكمه أقوى من كل طبقات الحاكمين الأخرى .
- حتى تعاليم الدين الحق قد تتغير ويتغير الحكم فيها من باب الضرورات والنوازل وعموم البلوى الحاصلة .
- فضلاً عن أنظمة القوانين التي تتغير تبعاً مراعاة لمقتضى حال الواقع المتغير ولا ريب .
- وحال الظروف يفرض على المجتمع مسلكاً معيناً دون اختيار .
- وهذا بدوره يجعل الأفراد خاضعين لها قسراً .
- والظروف قد تكون طارئة وقد تستمر لفترة قصيرة أو طويلة .
- وحكم الظروف قد يجبر المجتمع على تغيير قنوات الحكم .
- تغييراً جزئياً لا ينفك عن الحكم الأصلي المعمول به .
- أو جذرياً لدرجة اعتماد نظام حكم مغاير إلى حد كبير .
- وتختلف المجتمعات من حيث التحسب لمسألة تغيير الظروف .
- ولمسألة القدرة على إيجاد نظام بديل يُعمل به في حالات الطوارئ .
- كما أن هناك ظروفاً خاصة تحكم الحال .

الحبر الأسود

- كل هذا يظهر مدى استقرار المجتمع من اضطرابه .
- ويعكس صورة حقيقية عن حال الأفراد والجماعات والشعوب فيه .
- كما يظهر مدى انتشار طبقات الحاكمين الأخرى فيه ومدى تأثيرها على الجميع .
- ومدى تفاعل الناس معها في الظروف القياسية وفي الطارئ منها .
- وبهذا صار حكم الظروف مقياساً عاماً في المجتمع .
- على الحاكمين وعلى المحكومين فيه سواء .
- من حيث مدى تقبُّل الطارئ ومسايرته أول الأمر .
- ومن ثم من حيث مجابته والقدرة على تغييره مع الوقت .
- لأن حكم الظروف مؤقت بقدر بقاء الطارئ .
- وبزواله يزول المؤقت ويعود الأمر إلى سابقه وقد لا يعود .
- حين يجد في الحكم الجديد ما يغني عن القديم .
- فيقال حينها رب ضارة نافعة .

٩ - الفكر يحكم بقناعاته

- الفكر هو تاسع طبقات الحاكمين في المجتمع .
- فما من إنسان إلا وله نتاج فكري في كل مراحل عمره .
- منه ما هو نتاج فكر ناضج ومنه ما هو نتاج فكر قاصر .
- والإنسان بطبعه يتأثر بكل ما حوله من معتقدات وظروف وأحوال .
- من شأنها صقل فكره الذاتي على نحو معين .
- يظهر على شخصيته على هيئة سلوك وتصرفات ومواقف .
- هذا الفكر يحكم حياته ولا ريب ولا يستطيع الانفكاك عنه .
- ففكر الإنسان هو الذي يجعله يتصرف بما تصرف به .
- ومن ثم يحاول تعميم فكره على أنه فكر يمكن أن يتعدى للآخرين .
- على أساس أنه فكر متكامل يستحق أن يلتفت إليه .
- كمشاركة اجتماعية من شأنها الاسهام في نهوض المجتمع .
- وهذا الفكر تصوغه قناعات الشخص التي تأثر بها في حياته .
- قناعات تشرّبها عقله فصارت لاحقاً مبادئ يحترمها ويحتكم إليها .
- والناس قد يتقاطع نتائجهم الفكري نتيجة الروابط الإنسانية المشتركة وهذا أمر طبيعي .
- أو نتيجة ظروف مشابهة ولدت ذلك التقاطع المهم في حياتهم .

الحبر الأسود

- كما أن النتاج الفكري قد يتضاد نتيجة مفارقات كثيرة .
- غير أن أهم ما في الموضوع اعتقاد عصمة التفكير لدى كثيرين .
- مما يجعلهم يحكمون بصدارة فكرهم وأولويته في كل شيء .
- ودون أدنى سبب منهجي أو علمي يرتكز عليه .
- وهنا المشكلة الكبرى فتحجيم أفكار الآخرين في حد ذاته قصوراً في التفكير أساساً .
- كما أن مصادرة الفكر خطأ فليس لأحد أحقية الأولوية المطلقة .
- لأن الفكر في الأصل نتيجة عوامل كثيرة أفرزته .
- واختلافها يعني اختلافه دون شك ولا غضاضة في ذلك .
- من هنا ولجت البدع والضلالات والأفكار الشاذة غريبة الأطوار .
- وترسخت في عقول كثيرين ومع الوقت ظنوها من صميم الدين .
- وبالجملة فالفكر في حد ذاته حاكم لحياة الناس وتصرفاتهم .
- وكم من فكرة هزيلة أو بدعة تافهة أو ضلالة ظاهرة ومع ذلك هيمنت على عقول كثيرة ولسنين طويلة وانتشرت وراجت في العالم كله .
- وقد تكون عارضت ديناً ورغم ذلك حكمت دولاً ومجتمعات .
- لأن الناس لا يستطيعون العيش بلا نتاج فكر حي .
- فهو عطاء متجدد وطاقة لا تنضب باقية ببقاء الإنسان .
- وبالتالي فالتأثر بالأفكار باق ببقاء تلك الطاقة المتدفقة المسترسلة .

١٠- الدخيل يحكم بانتشاره

- الدخيل هو عاشر الطبقات الحاكمة للمجتمعات والشعوب .
- وهو لفظ عام يشمل كل غريب على ثقافة المجتمع .
- سواء كان مستقطباً اجتماعياً من باب الاستشراق أو الاستغراب .
- أم كان متوغلاً سرياً في المجتمع ينساح فيه مع الوقت .
- قد يكون ذلك فكراً يتأثر به الفرد تأثراً مباشراً أو غير مباشر .
- وقد يكون منهجاً معمولاً به يقتنع به الإنسان ومن ثم يتبعه .
- وفي كل الأحوال هو أمر لا يمت للمجتمع بصلة .
- والوصف الدقيق له أنه دخيل على المجتمع في أول أمره .
- وما يلبث أن يصير لوثة فكرية وموجة تطوف بسماء المجتمع .
- والناس عادة يختلفون في مقاومة ذلك .
- بين متبع لكل موجة تحديث من غير بصر أو بصيرة .
- وممتنع عن كل دخيل متحصن بالأصالة المجتمعية .
- وثالث يغتر بموجة فيركبها ويتفطن لأخرى فيبتعد عنها .
- وقوة الدخيل تكمن بقوة من يقف وراءه ومن يموله .
- وما هو مبتغاه وهدفه القريب منه وغاياته البعيدة .
- وتختلف المجتمعات من حيث المناعة ضد الدخيل .

الحبر الأسود

- فمجتمع من السهل جداً تسلل الدخيل إلى ساحته بلا غضاضة .
- ومجتمع آخر شبه مغلق لا مكان للدخيل فيه .
- مهما حاول الولوج إلى ساحته يجد سداً منيعاً أمامه غالباً .
- وفي كل الأحوال الدخيل يحكم بمدى انتشاره في المجتمع .
- ومدى تأثيره في الناس وقناعتهم به مع الوقت .
- قد يصل الأمر لدرجة انخراط الفرد في دائرة حكمه .
- والانصياع لما يمليه عليه ولما ينشره دون أن يشعر بذلك .
- وأخطر سبل الدخيل هي بوابة الثقافات المستهجنة .
- والتي للأسف كثرت وتفشيت في كافة المجتمعات .
- وأثرت بقوة على حياة كثير من الناس ولا سيما طبقة الشباب .
- فهم الأسرع تأثراً والأكثر تغييراً في أي مجتمع كان .
- إذن الدخيل يحكم ولا ريب حياة كثير من البشر .
- بقدر تغلغله في مجتمعاتهم وقلة تحصيناتهم لشعوبهم .
- وبقدر ضعف تمسكهم بقيمهم وانفتاحهم على كل جديد .
- ولولا ذاك لما وجد له منفذاً يلج منه إلى المجتمع .
- فالعلة الرئيسة تكمن في ضعف المجتمع بالدرجة الأولى .
- وليست في قوة الدخيل وتمكنه يجب معرفة ذلك جيداً .

١١ - الشهوات تحكم بغلبتها

- أكثر طبقات الحاكمين شيوعاً في المجتمع هي الشهوات .
- التي طالت كل البشر فقلّ من عصم من سعارها وغلبتها .
- ولا يسلم منها إلا من تسلح بإيمان و يقين حق وخلق صدق .
- وبقدر ضعف نفس الإنسان وبعده عن الدين بقدر وقوعه فيها .
- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره) [متفق عليه] .
- وكلما غرق الإنسان في بحور الشهوات وانغمس فيها وسلم نفسه لها كلما استحوذت عليه فصار من الصعب عليه الخروج منها .
- ومع الوقت تنصبغ شخصيته بتلك الشهوات التي أضحت خلقاً رذيلًا فيه وطباعاً سيئة يعرف به .
- وحينها يصبح أسيراً لها تكبله قيود الغواية والإدمان .
- فيظل عليها ربما سنين طويلة لا يستطيع تركها ولا التحكم فيها .
- الشهوات بحر من الظلمات يحجب عن رؤية الحق والحقيقة .
- تجعل الإنسان يعيش حياته فوضوياً عبثياً منطلقاً كما يحب .
- لا يقف عند حدود الدين والأدب والخلق الحسن الرفيع .
- ولا يقيم للأمر وزنها ولا يهتم بمسألة الإسهام في بناء وطنه .

الحبر الأسود

- بل ربما اقتراف أبشع الأمور دون أن يتأثر بها أو يؤنبه ضميره .
- ويبقى هكذا في دوامة الغواية تملكه نفسه ولا يملكها .
- والنفس بطبعها ضعيفة أمام المغريات تجدها من كل حذب وصوب .
- وقليل من الناس من استطاع كبح جماحها فقصرها عن غيها وردها إلى الحق رداً وأطرها عليه أطراً .
- وقديماً قيل : النفس إن لم تشغلها بالطاعة أشغلتك بالمعصية .
- وأكثر الناس للأسف على ذلك يعيش حياة الفوضى والضياع .
- نتيجة تغلب سلطان شهواته عليه الذي استعبده وملك مقادته .
- ذلكم هو حكم الشهوات الذي جعل العزيز ذليلاً بشهوته .
- ضعيفاً أمامها فتغير من وراء ذلك حال المجتمعات .
- نتيجة انتشار الشهوات وانغماس الناس فيها إلا القليل منهم .
- ممن عصمهم الله جل جلاله وتقدست أسماؤه .
- سلطان الشهوات هول عظيم يحكم الدنيا ويخضع الناس .
- فأضحت بذلك المجتمعات سلبية الإرادة إلى حد كبير .
- ومن هنا تسلط عليهم العدو لا بقوته وإنما بضعفهم أمام شهواتهم .

١٢- الجهل يحكم بممارساته

- آخر طبقات الحاكمين هو الجهل الذي يعد أكبر أسباب الهدم .
- يقوّض القدرات ويبدد الجهود ويضعف المجتمعات .
- يخضعهم قسراً من حيث لا يشعرون للرضوخ لممارسات تحكمهم .
- غالباً ما تتسم بالتخلف والرجعية وهيمنة الخرافة .
- يهمل ثقافة المجتمعات ويفقدونها قيمة موروثة فلا يمكن أن ينتج عنه ما يفيد الشعوب أو ينفعها حاضراً أو مستقبلاً .
- بل يجعلها رهينة الجمود المطبق الذي يقضي معه على كل صور التقدم والتطور والرقي والازدهار وقد تظل على ذلك دهوراً .
- كل ذلك من صور الجهل ضد العلم وأشنع منه ولا ريب الجهل بصورته الجديدة والذي هو ضد الحلم أو الفهم .
- الذي يجعل عقول الأفراد في تلك المجتمعات شبه خاضعة لوضعها القائم لا تفكر في الخروج منه أو تغييره للأحسن .
- لا يقبل التجديد ويرفض كل ما من شأنه الخروج عن الحد المألوف .
- وكل فكر مغاير لما عليه المجتمع فهو خطر داهم يجب مقاومته .
- يُعادى صاحبها وقد يطرد من وطنه وقد ينفى وقد يقتل .
- هذا ولا ريب هو الجهل المبين والخطر المستبين بكل معاني الكلمة .

الفصل الرابع : مكامن الخطر

- ١ - طغيان القانون وهجر تحكيم الشريعة .
- ٢ - فتنة الحزبية والفرقة .
- ٣ - نتاج الفكر الضال .
- ٤ - جرأة محاسبة الحكّام .
- ٥ - منهج التشدد المقيت .
- ٦ - بلوى استحسان الرأي المفرط .
- ٧ - لوثة الحرية الشخصية .
- ٨ - مشكلة التقليد اللا واعي .
- ٩ - المبالغة في الرفاهية الزائدة .
- ١٠ - ظاهرة سوء استغلال النفوذ .
- ١١ - دور الخيانة والعمالة .
- ١٢ - ضغوط المؤامرات الخفية .

هي إرهاقات تحيط بالشعوب والمجتمعات
تؤثر على حياة الناس وقد تضرر بها وتفسدها
لا سبيل لمواجهتها إلا بتكاتف الجميع
ونهبوض كل فرد بواجبه تجاه مجتمعه ووطنه
مستحضراً كونه جندياً يحرس ثغور أمته



١ - طغيان القانون وهجر تحكيم الشريعة

- أول الأخطار المحدقة بالمجتمعات المسلمة يأتي من باب استحسان ترك تعاليم الشريعة ليحل محلها قوانين وضعية بديلة .
- هيمنة هذه القوانين وشموليتها لكل أوضاع الحكم في المجتمع مؤثر خطير ولا ريب من عدة وجوه :
- الأول . أن تعاليم الشريعة محل رضا وقناعة تامة لأن المشرع هو رب العالمين بخلاف القانون الذي وضعه بشر لا يخلو من النقص والقصور .
- الثاني . أن الشريعة منهج متكامل يناسب كل الأحوال ويراعي مقتضى الحال ولها القدرة على مسايرة المستجدات بخلاف القانون الذي يهتم بمراعاة جوانب ويغفل عن أخرى .
- الثالث . الشريعة تخاطب القلوب وتهدب السلوك بقدر ما تراعي المصالح والمنافع وتدرأ المضار والمفاسد .
- أما القانون فيراعي الأوضاع بقوة الردع غالباً لكنه لا يهتم لمسألة تهذيب السلوك وتقويم النفوس .
- كما أن هجر الاحتكام إلى الشريعة جملة وتفصيلاً يولد مشكلات مجتمعية حادة وكثيرة لا يمكن للقانون تسويتها ولا القضاء عليها .
- وبالأخص إذا كان يضاد تعاليم الشرع المطهر .

الحبر الأسود

- أو يعتبر الشرع عقبة يجب تجاوزها بأي حال من الأحوال .
- أو يراها غير قادرة على تلبية احتياجات البشر في عصر الانفتاحية الكبرى والعولمة العظمى .
- مثل ذلك التوجه الخاطئ هو أكبر مشكلة تواجه العالم الإسلامي .
- والسبب الرئيس الذي قاد إليه هو تقليد الفكر الغربي .
- الذي قارن بين دين الكنيسة المحرف وبين قوانين بشرية تقوم على أساس المعاملة بالمثل بقصد العدل والمساواة بين الناس في كافة الحقوق .
- وحق لهم ذلك في عالم الحقيقة نتيجة الظلم الذي فرض عليهم قرون عديدة عرفت فيما بعد بعصور الظلام .
- أما الشريعة الغراء فهي محفوظة تماماً ومن كل وجه .
- وبالتالي فما كان ينبغي الاحتكام إلى قوانين بشرية عوراء .
- هذا فرق رئيس وجوهري يجب وضعه في الحسبان .
- إن مقارنة تلك القوانين البشرية بالشريعة الربانية جهل مبین .
- فمحال أن يكون ما وضعه البشر من قوانين مهما كانت درجة قوتها في الملاءمة أن تنهض لتساوي ما وضعه رب العالمين .
- كما أن الشريعة الغراء لا تنبذ القوانين جملة وتفصيلاً .
- فالقانون الذي حقق المصالح والمنافع أو درأ عنه المفسد والمضار .
- يندرج مباشرة ضمن مصدر المصالح المرسل .

الحبر الأسود

- فيُقبل ويُعمل به في المجتمع لا غضاضة .
- ولا يرفض إلا ما كان مصادماً للشرع صراحة .
- بحيث يجلب ضرراً ومفاسد أو يمنع نفعاً ومصالحاً .
- من باب الحريات المنطلقة التي لا حدود لها ولا سيما الشخصية .
- وهنا يمكن تجلية أكبر فرق بين الشريعة والقانون .
- وهو أن الشريعة ترفض أن يضر المرء بنفسه كمن شرب خمرًا مثلاً .
- أما القانون فلا يرفض ذلك بل يقره ويعتبره حرية شخصية .
- فالحرية في الشريعة تقف عند حدود النفع والضرر .
- وعدم تجاوز ذلك بتاتاً بأي حال من الأحوال .
- بخلاف القانون الذي لا يقف عند تلك الحدود .
- فالحرية فيه قد تبيح للإنسان أن يقتل نفسه أو يلحق بها الضرر .
- كما أنها لا تقف عند حدود الآخرين .
- طغيان القوانين الوضعية على الشرعية خطر كبير يضر البشرية .
- ولهذا اتسمت عامة كلمات وكتابات أولئك الأقوام بالفساد .
- لأنها تهدم القيم وتفسد الثقافات وتذيب تعاليم الشرع المطهر .
- كل ذلك تحت ذريعة تقنين الحريات المفرطة .
- من باب الانفتاحية الكبرى والعولمة العظمى .

٢- فتنة الحزبية والفرقة

- ثاني الأخطار المحدقة يأتي من قبل الحزبية والطائفية والقومية والمذهبية والحركية وما إلى ذلك من ممزقات المجتمعات .
- وما من أمة وهنت وهانت إلا على يد أبنائها بالدرجة الأولى .
- متى تحزبوا وتفرقوا واختلفت كلماتهم وتشتت شملهم .
- فصاروا مزعاً كل منهم يزعم الصواب ويسعى للقيادة حثيثاً .
- هنا تضع الشعوب ويتوه الأفراد وتحار الأفكار .
- فأيهم الحق والذي على الحق وأيهم الدّعي وأيهم الخصم .
- العمل الحزبي خطر كبير لأنه يقوم بالدرجة الأولى على التبعية التامة والاستقطاب المفرط .
- وما يتبع ذلك من تنافسية غير نزيهة ولا شريفة .
- واحتكارات في جُل العمل السياسي والمجتمعي في الأعم الأغلب .
- لأنها لا تقوم على مبدأ مشاركة بناء مجتمع للجميع .
- بقدر ما تقوم على مبدأ النفوذ الحزبي المطلق والقيادة المنفردة .
- الرفض للتعددية التكاملية كما هو شأن عامة الأحزاب .
- والقوميات والمذاهب التي تمجد العرق والمذهب والطبقة ولا ترى سواه مستحقاً لما تستحقه هي .

الحبر الأسود

- عنصريات مقبلة تضرب أبناء المجتمع الواحد ببعضه بعضاً .
- وتمزقه وتفترقه وتجعله مجتمعاً طبقياً في كافة الحقوق والواجبات .
- التفرق مسلك خطير يضر المجتمع وبالأمة ويجعلها شتاتاً .
- فيتسلط بعضهم على بعض قبل تسلط العدو الخارجي عليهم .
- الذي قد يستعين به البعض ليرجح كفته على غيره .
- ليكون عوناً لها عليه فهل بعد ذلك من وهن وهوان .
- خطورة ما بعدها خطورة تحتاج المجتمعات والأمة من وراء ذلك .
- وتسلط عليهم الأعداء من كل حدب وصوب بلا رحمة .
- نتيجة ذلك الاختلاف والتفرق الحاصل والتمزق القائم .
- أو نتيجة الولاءات لجهات خارجية تمول أو تقوي جانب الحزب .
- كما لو أن الأمر استعداد للعدو على الوطن بمساعدة أبنائه .
- المجتمع يقظ يقضي على الحزبية قبل أن تقضي عليه .
- وتجعله نهاباً في يد الأعداء فتبدد ثرواته وتنهب طاقاته ومقدراته .
- الحزبية والمذهبية والطائفية والقومية والحركية كل ذلك دمار على المجتمع ما بعده دمار .
- وعامة كلمات وكتابات ذويها تعج بالاستقطاب والتحيز والتمييز .
- فيجب أن يعي الجميع خطورة ذلك قبل أن يضيعوا كافة .

٣- نتاج الفكر الضال

- ثالث الأخطار المحدقة هو الفكر الضال وما ينشأ عنه من فساد عظيم يضر عامة المجتمعات ومقدراته .
- فساد الفكر طريق وبيئ مظلّم مشؤوم يضرب أبناء المجتمع الواحد ببعضه ويتسلط بعضهم على بعض .
- أساسه سوء فهم تعاليم الشرع القويم وما نتج عن ذلك من تفسير خاطئ للنصوص على غير مرادها الحقيقية .
- أو سوء تطبيق تلك التعاليم والتشريعات وما نتج عنه من اعتقاد أمور خاطئة لا حقيقة لها مطلقاً .
- وعامة من انحرف عن جادة الصواب ومن ثم انحرف إلى ذلك الوادي السحيق شباب في عمر الزهور .
- تجاوزوا حدود الشرع وأساءوا الأدب مع العلماء الربانيين وتجاهلوههم ومن ثم راحوا يفهمون النصوص كما يريدون من غير ضوابط الشرع المطهر ومن غير معلم يعلمهم أمور دينهم .
- الفهم السقيم وسوء التطبيق مشكلتان حقيقتان طالما أضرت بالمجتمعات والشعوب وبالأمة من وراء ذلك .
- وأضعفت موقفها الموحد وجرأت العدو فتسلط عليها .

الحبر الأسود

- ومن هذا الباب ولجت سائر الفئات الضالة التي أضرت وأفسدت .
- والتي تبنت طريق الإفساد والإرهاب بقصد الوصول إلى الإصلاح بحسب ما يعتقدون .
- ففسّقوا الناس وكفروهم واتهموا العلماء في دينهم ومن ثم فجروا وأراقوا الدماء وأعانوا على إسقاط حكومات دول وخرجوا عن طاعة ولاية الأمر خالعين يد الطاعة .
- ورغم كل تلك الممارسات الهوجاء يعتقدون أنهم هم المصيبون لكبد الحقيقة ولا مؤمن حقاً على وجه الأرض إلا هم .
- وكل من سواهم من عامة الناس كفار خارجون عن مضمون الدين الحنيف وتعاليمه .
- والخطورة الكبرى هنا أن هذه الفئات الضالة يتلاعبون بالنصوص الشرعية كيفما شاءوا .
- فينحرفون عن الحق مستدلين بآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية بما يعتقدون أنه هو الصواب الذي وافق آراءهم ومواقفهم .
- في نظرهم أن الكافر الأصلي الباقي على كفره هو أقل خطراً على الإسلام بكل حال ممن كفروه هم وجردوه من الدين .
- لذا لا يتورعون عن قتلهم واستباحة دمائهم بكل سهولة ويسر .
- وهذا ما جعلهم شرسين في أحكامهم على مخالفتهم من المسلمين .

الحبر الأسود

- أكثر من شراستهم على عموم الكفار أصلاً .
- ولهذا فقد فاق ضلالهم كل ضلال لجهلهم وجرأتهم على الدين الحق وتجاوز تعاليمه من كل وجه .
- ولهذا أمر خير الورى ﷺ بقتلهم وقطع دابرهم بقوله في الحديث النبوي الشريف : (سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً، لمن قتلهم عند الله يوم القيامة) [متفق عليه] .
- هم الخطر الحقيقي الذي يضر الأمة أشد من اليهود النصارى .
- لأن خطرهم من الداخل ويحصل باسم الدين للأسف .
- وهم يعتقدون أن كل فعالهم تلك قربة إلى الله تعالى .
- فهل بعد ذلك من ضلال مبين .

٤ - جرأة محاسبة الحاكم

- رابع الأخطار المحدقة بالمجتمعات المسلمة هو جرأة محاسبة الحاكم وما ينتج عن ذلك من فتن عظيمة ومحن جسيمة .
- تبيح الخروج عن الجماعة وخلع يد الطاعة ونقض البيعة للحاكم المسلم دون أدنى حرج .
- قد يصل الأمر بالبعض إلى حد الفرار إلى بلاد الكفار والاعتصام بهم هناك خلف أسوار الحريات .
- وهذا كله ولا ريب مخالفة صريحة لتعاليم الدين الحق الذي نهى صراحة عن ذلك بما لا يدع مجالاً للشك .
- ولعل أول أسباب تلك الجرأة هو اعتقاد ضرورة قيام الحاكم بالعدل والمساواة فيما بين الجميع .
- وهذا مطلب رئيس ولا ريب لكن فقده لا يعني تجويز الخروج عن حكمه وخلع يد الطاعة بحال .
- أما ثاني الأسباب فهو مساواة الحاكم الشرعي بالحاكم الدستوري وهذا خطأ كبير والجهل به أوقع الناس في حرج وعنت ومشقة .
- فالحاكم الشرعي مرجعه الشريعة الغراء ودوره هنا العمل بتعاليمها وتشريعاتها السماوية بموجب نصوص الشريعة الإسلامية .

الحبر الأسود

- وبالتالي فلا يجوز الخروج على الحاكم الشرعي ولا خلع يد الطاعة تحت أي ذريعة كانت .
- ولا محاسبته إن أخطأ ولا التشهير به مهما كان فاسقاً أو ظالماً أو مستبداً أو قاهراً أو مفرطاً والنصوص على ذلك كثيرة ومستفيضة :
- قوله ﷺ : (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فمات، فميتة جاهلية) [متفق عليه] .
- وقوله ﷺ : (من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية) [مسلم] .
- وقوله ﷺ : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك ؟ قال : تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع) [مسلم] .
- وقوله ﷺ : (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قيل : يا رسول الله، أفلا نناذبهم بالسيوف ؟ فقال : لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة) [مسلم] .

الحبر الأسود

- وقوله ﷺ : (إنكم سترون بعدي أثره وأمورا تنكرونها، قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم)[البخاري] . وفي رواية لمسلم : (يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه، ثم سألته، فأعرض عنه، ثم سألته في الثانية أو في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس، وقال : اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم) .

- بهذا يتبين وجوب طاعة الحاكم مهما كان وضعه حفاظاً على الجماعة حتى لا ينفرط عقدها لأن بقاءه يحقق المصالح العليا للمسلمين .
- وسقوطه سيفتح باباً عظيماً لفتن عظمى تضر بالجميع .
- والمصالح العامة تقدم بكل حال على المصالح الخاصة .
- أما الحاكم الدستوري فمرجعه دستور قانون وضعي يبيح للأفراد محاسبته بل ومحاكمته أحياناً .
- ومن هنا خرج كثير من الناس مندداً بفساد الحكام مستغلاً أحقيته في ذلك بموجب نصوص الدستور الذي ضمن له كفالة حقوق كثيرة .
- فالمعارض هنا لم يخرج عن حد المقتن له ضمن أطر الدستور .
- وإنما خرج مطالباً بحقوقه بحسب المتاح له من حقوق منصوص عليها في الدستور المعمول به في البلاد .

الحبر الأسود

- والذي أقسم عليه الحاكم أمام الجمهور أن يعمل بموجبه .
- فجنوحه عن حكم الشرع إلى الاحتكام إلى قوانين وضعية هو الذي فتح عليه أبواب شر مؤصدة وفتناً لا حصر لها لو كان يعلم .
- فالشرعية الغراء هي التي تحميه في الحقيقة من خروج الخارجين ومن أصوات وأقلام المناوئين لو كان يعلم .
- وهذا ولا ريب يختلف تماماً عن الحاكم الشرعي الذي يحكم بشرعية غراء لا تقرر الخروج أبداً ولا المحاسبة مطلقاً .
- والإشكالية هنا تكمن في أن الناس صاروا يبررون الخروج على الحاكم بحجة المطالبة بالحقوق المسلوبة تحت ذريعة أن الحاكم مطالب بتوفيرها للشعب .
- ومع الوقت اختلط على كثير من الناس الفرق الجوهرى بين الحاكم الشرعى والحاكم الدستورى .
- وبالتالي صاروا يحاكمون الجميع من غير تفريق بينهما مما أباح لهم الخروج ونزع يد الطاعة من الحاكم الشرعى واجب الطاعة .
- بل تجاوز كثير منهم الحد حين فر من بلده المسلم إلى بلاد الكفر ومن ثم صار يناوئ الحاكم الشرعى ويؤلب عليه ويشهر به .
- معتقداً أن ذلك من أبسط حقوقه وهو لا يعلم أن حقيقة أمره فتنة تؤجج ناراً وكلمات تهدم وتحرق وتضر وتفسد بالأمة للأسف .

٥ - منهج التشدد المقيت

- خامس الأخطار المحدقة بالمجتمع المسلم هو منهج التشدد المقيت .
- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون) [مسلم . والمتنطعون هم : المتشددون المغالون] .
- نهي صريح عن التشدد والمغلاة ومجاوزة الحد في الأقوال والأفعال .
- فما نشأ عن التشدد إلا كل بأس وعنف وتصرف مذموم .
- لا وسطية فيه ولا اعتدال ولا اتزان وإنما تطرف وانحراف .
- وشدة في غير محلها وتعمق فيما لا نفع منه ولا فيه .
- التشدد سبب رئيس في تنفير الناس من الدين ومنهجه السماح .
- وإظهار أن تعاليمه بالفعل فيها من الشدة الشيء الكثير .
- لذا كان المتشددون من أضر الناس على الدين والمجتمعات .
- لأنهم يصورون الدين على أنه قيود حقيقية للإنسان تصادر حقوقه وتحرمه من الطيبات التي كان من المفترض أن تكون حلالاً .
- التشدد كمبدأ قد يكون مطلوباً بقصد التقيد التام بالوقوف على الحدود وعدم تجاوزها أما أن يكون منهجاً مطرداً في كل شؤون حياته هذا هو المرفوض تماماً .

الحبر الأسود

- فليس ديننا دين تشدد مطلقاً من أي وجه كان .
- وكافة تشريعاته وحدوده وتعاليمه ومقاصده تتسم بالرحمة والرفقة والرفق واللين والسماحة والسهولة واليسر .
- وحقيقة التشدد بعكس ذلك تماماً لأنه ينفر من الدين والتدين .
- ويحمل كثيرون على ترك الالتزام بالمنهج الشرعي استحساناً .
- معتقدين أنه منهج مضطرب لا اتزان فيه ولا اعتدال .
- وإنما قيود وأغلال تكبل الإنسان عن حركة الحياة بصورة معتادة .
- زاد الأمر سوءاً كلمات وعبارات وأقلام وتراث أولئك المتشددين الموصوفة بالقساوة والفضاضة والغلظة والشدة .
- التي تحمل على الكراهية والضعينة والبغض .
- فأضحى بذلك التشدد أخطر المناهج التي تقدح في مدى سماحة هذا الدين العظيم ولا سيما عند من لا يعرفه .
- وبسببه تم تصوير الإسلام على أنه دين تطرف وإرهاب وتعدٍ وقتل ومصادرة للحقوق ولا سيما المرأة وكبت للحريات وما إلى ذلك .
- هذه الصورة السوداوية القائمة المشوهة وللأسف سببها ذلك المنهج الخاطئ بكل معاني الكلمة .
- فكيف لمنهج كهذا أن يصلح يا ترى .
- وهو الهدم بعينه والفساد العظيم والضرر المبين بذاته .

٦ - بلوى استحسان الرأي المفرط

- سادس الأخطار المحدقة بالأمة هو استحسان الرأي المفرط .
- الذي قد يصل إلى حد اللدد في الخصومة .
- فالخلاف مبدئياً موجود لا مشكلة في ذلك لكن أن يصل الأمر إلى حد نبذ المخالف والتشنيع عليه فهذه مشكلة كبرى .
- لأن ذلك يقود إلى مصادرة الآراء وتجهيل الآخرين .
- وهذه مشكلة أخرى كبرى لأن الاختلاف في الرأي أمر متاح من المفترض أنه لا إشكال فيه .
- أما أن يعتقد الشخص أنه الناطق الوحيد بالحق ولا حق إلا ما جاء على لسانه ومن سواه على خطأ ظاهر .
- وحين يضيق الأفق عن إدراك الحق ويعتقد المرء العصمة لنفسه .
- وحين يضيق الصدر عن قبول الآخر وينصب الإنسان نفسه حكماً على الآخرين ويجعله الحد الفاصل بين الحق والباطل .
- كل ذلك شطط غير مقبول وتزمت مقيت .
- فمحال أن يكون الشخص مركز الحقيقة وحده في هذا الكون ومن سواه لا عبرة لقوله وآرائه مطلقاً .
- لأن الخلاف وارد لأسباب كثيرة ومتنوعة لا غضاضة فيها أبداً .

الحبر الأسود

- إما لاختلاف درجة الأفهام ومستوى الإدراك .
- وإما لاختلاف التقدير والنظر في الأمور من عدة أوجه .
- وإما لاختلاف الوقوف على الحقائق تامة من عدم ذلك .
- وإما لاختلاف الظروف التي تحيط بالمرء فتجعله ينحى منحىً آخر .
- وإما لاختلاف الأصول العلمية التي يعتمد عليها وينطلق منها .
- أو ما سوى ذلك من أسباب كثيرة ومتنوعة .
- وعموماً فأمثال هذه الأمور من شأنها شرخ وحدة الصف والقدح في العلماء الربانيين الذين لهم قدم صدق عند ربهم سبحانه .
- ومن شأنها تجهيل المخالف وتسفيه رأيه .
- ومن شأنها تنفير الناس من التوجهات الدينية .
- ومن شأنها وصم العلماء بقصور النظر وضيق الأفق مما يولد الجرأة عليهم والاستهزاء بهم وبالعلم الشرعي من وراء ذلك .
- ومن شأنها جعل الناس يعتقدون قصور المنهج العلمي عن مواكبة الأحداث والمستجدات مما يعني البحث عن بدائل غيره .
- ومن شأنها البلبلة والتلبيس على طلاب العلم الجادين حين يجدون أنفسهم في دوامة خصومات لا مبرر لها بين رجال العلم .
- كلٌ منهم يزعم أنه يدين الله تعالى بذلك وهو الناطق الأوحد بالحق .
- حينها سيطلق كلمات كرصاصات هي أشد وقعاً من السيف .

الحبر الأسود

- مبتعداً تماماً عن أدنى معاني الرفق والرحمة واللين والحكمة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة .
- متسلحاً بما يعتقد لسان الحق الصادح به الذي لا مرأى فيه .
- فأين كان رسول الله ﷺ من ذلك حين كان يتعامل مع اليهود المحاريين له ولدينه بكل لطف ورفق ولين .
- من الذي جعل من الغلظة والفضاضة منهجاً حقاً لمجرد الاختلاف في الرأي مع الآخرين .
- والعجيب أن ذلك قد يجر إلى مسائل خطيرة جداً .
- كالتفسيق والتكفير بل ربما إلى القتل والتفجير .
- وباسم من يحصل ذلك ! وعلى من يقع ! .
- يحصل باسم الدين ويقع على المسلمين الآمنين .
- هل هذه الصراعات والمهاترات هي بالفعل منهج حق ! .
- والضحية هم الأفراد والجماعات والمجتمعات والأمة بأسرها .
- لأنها ممارسات تضعف وحدة الصف وتقوي الأعداء علينا .
- وأخطر ما في هذا الأمر رغم كل ما سبق .
- أن كل تلك التجاوزات الخطيرة تحسب على الدين الحق .
- فقد يعتقد معتقد حينها أنها فعلاً من صميم شريعة الدين وتعاليمه .
- وكم من عدو ولج من قبل رجل علم متدين متشدد .

الحبر الأسود

- جر على المجتمع وعلى الأمة من وراء ذلك ويالات وويلات .
- كل تلك حقائق مؤسفة حين يؤتى الدين من قبل من كان من المفترض أنهم أول الحماة كالدرع بل الحصون في وجه العدو .
- لذا كان رجل العلم إما رحمة لمجتمعه وأمتة بوجه عام .
- حين يعي دوره الحقيقي من كونه وريثاً للنبي الأكرم ﷺ .
- وإما رجل سوء بسبب قلة وعيه يجر على المجتمع وعلى الأمة من بعد مشكلات لا حصر لها .
- ولذلك كان العلماء إما صمام أمان وإما بوابة منها ينفذ العدو .
- وبالجملة فخطورة استحسان الرأي في الحقيقة بوابة فتن رئيسة .
- تمزق المجتمع وتبغض للناس تعاليم الدين وتزهدهم فيه .
- ومن ثم تجرئ الأعداء علينا للأسف الشديد .
- يجب أن يعي الجميع ذلك تماماً ولا سيما من ينسب إلى العلم الشريف والدين الحنيف .
- ليضبط كلماته وكتاباتاته إذن على منهج الشرع القويم المعتدل المتزن .

٧- لوثة الحرية الشخصية

- سابع الأخطار المحدقة لوثة ما يسمى بالحرية الشخصية .
- فما من مجتمع إلا وله طابع معيشي عام يعكس الصورة الحقيقية لحياة الأفراد والشعوب فيه .
- ويبرز لنا وبكل وضوح نوعية ذلك المجتمع ما إذا كان متحفظاً أم منغلقاً أم منفتحاً .
- يرتبط الأفراد في كل مجتمع من تلك المجتمعات بعدة روابط .
- من شأنها إظهار مدى تماسك الشعب فيما بينه من عدم ذلك .
- من أقوى تلك الروابط ولا ريب هو رباط التضامن .
- الذي من شأنه رفع مستوى التفاهم في المجتمع ليكون الفرد فيه أقدر على مواجهة معرّتك الحياة .
- متى وجد من يوجهه ويعينه ويقف بجانبه متى احتاج لذلك .
- ذلكم هو سياق التعاون على الحق بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة .
- حماية للمجتمع من سائر التعديات السلوكية الخاطئة والأخلاقيات الشاذة والتجاوزات المنطلقة وموجات الفساد المتفشية .
- وتصفية لأجوائه من الأدواء الفكرية والأسقام المنهجية والشعارات المغرضة التي قد تعصف به .

الحبر الأسود

- وزيادة لوعي الفرد فيه كي يحسن التصرف في قضايا المجتمع .
- مستشعراً دوره الإيجابي فيه مسهماً في بنائه .
- كل ذلك لتروج قيم الفضيلة في المجتمع وتختفي ممارسات الرذيلة .
- وبالتالي تقل معدلات الجريمة والشذوذ .
- ورويداً تختفي مع الوقت السلوكيات الشاذة وتتلاشى التصرفات غير اللائقة .
- وبهذا يرتفع نسق التعاون فيما بين الناس بقصد إيقاظ الحس العام .
- في مجتمع واعي يعي كافة مسؤولياته .
- ليكون الفرد قادراً على مواجهة كافة التيارات الفكرية المستهجنة التي تنادي بالحرريات الشخصية المنطلقة واللامنضبطة .
- والتي تتسلل إلى المجتمعات من حين لآخر فتحدث فيها توتراً لا يستهان به .
- حين تتعالى أصوات الفوضى الفكرية مطالبة إسقاط دور الرقيب ليفعل المرء ما يشاء دون تدخل من أحد باسم الحرية الشخصية .
- وإن تجاوز حد الاعتدال والاعتزان وإن لم يراع الذوق العام .
- هذا فضلاً عما أعطى لنفسه حرية الكتابة السفيفة الوضيعة .
- دون أدنى تحفظ أو شعور بالمسؤولية المجتمعية الحقيقية .
- هذه ولا ريب يكشف عورات المجتمع ويضر وحدة النسيج العام .

٨- مشكلة التقليد اللا واعي

- ثامن الأخطار المحدقة بالأمة والمجتمعات والشعوب مشكلة التقليد .
- وهو من حيث العموم سمة الأمة الضعيفة والمجتمع فاقد الهوية .
- إذ لو كانت قوية لاعتزت بدينها وثقافتها وهويتها الحقيقية .
- ولكان لديها ذخيرة ترد به على كل دخيل عليها .
- التقليد ينم عن فراغ نفسي يدعو إلى المحاكاة وتتبع كل جديد .
- وهذا بدوره يفتح الباب أمام كل موجات الحداثة والتغريب .
- والمشكلة الكبرى حين يصل الأمر إلى درجة اللا وعي .
- فيصعب وقد ينعدم حينها التفريق بين ما هو حق وما هو باطل .
- بل ربما زاد الأمر عن حده حين يُعتقد أن التغيير أضحي ضرورة ملحة وأن التقليد يعني التطور بعينه .
- والشباب في كل مجتمع هم أكبر طائفة فيه يجذبها التقليد والتجديد .
- وسريعاً ما يفتن بموجات الموضة وتيارات الحداثة .
- من غير أن يتبينوا حقيقة الأمر وينظروا في عواقب الأمور ولما هو خلف الحجب .
- ومتى وصل الحال بأفراد المجتمع إلى هذا الوضع المزري بتفشي ذلك الفكر الهزيل السخيف فتلك مشكلة حقيقية ولا ريب .

الحبر الأسود

- تجعل معظم الشباب مهمش ضعيف التفكير مسلوب الإرادة غالباً .
- وأسوأ من ذلك أن التقليد يعني الإعراض عن ثقافة المجتمع وموروثاته والتنكر لها مع الرغبة في التقليد والتجديد بدعوى التحضر والتمدن .
- وكل تلك الممارسات مؤثر على فقد المجتمع قيمة ما يملك من موروثات وذخيرة ثقافية .
- واعجابه بل وانبهاره بما يرى من موجات الحداثة والتجديد والتغير .
- وهذا يعني تحلل المجتمع وانحلاله عن المنهج الحق الذي كان من المفترض التمسك به اعتزازاً بتعاليمه وتشريعاته .
- بدلاً من الاستخفاف بها وبمضامينها القيمة .
- مشكلة حقيقية كبرى اكتسحت عامة المجتمعات ولا سيما في عصر التكنولوجيا الحديثة التي طغت على حياة الناس .
- وتعدى أثيرها كل الأسوار وكافة الحدود حتى وصلت إلى مخادع النوم حيث يدس الإنسان رأسه تحت لحافه .
- في زمن استخف الناس فيه بأثر الكلمات وصدى العبارات .
- وبما تحدثه من آثار وعواقب قد تكون وخيمة للأسف .

٩ - المبالغة في الرفاهية الزائدة

- تاسع الأخطار المحدقة بالمجتمعات والشعوب هي مشكلة المبالغة في الرفاهية الزائدة عن الحد المعقول والمقبول .
- الرفاهية خطر بكل معاني الكلمة لأنها تصيب الإنسان بالبلادة واللامبالاة والاستخفاف بمقدرات الوطن قد تصل لدرجة انعدام المسؤولية .
- والإنسان بطبعه متى ألف الترف والترفيه وغرق في بحور النعم .
- تقاعس عن القيام بمسؤولياته ومهامه وأنف منها مع الوقت .
- وقد يستثقلها ويتكاسل عن أداء أدنى واجباته منها .
- وقد يصاب بالاتكالية ويطلب من الآخرين القيام بها خدمة له .
- وبما أن صاحب المال هو أكبر المترفين في سائر المجتمعات .
- فسيجد من يخدمه حتماً لماله أو لجاهه أو لسلطانه أو لمكانته .
- نفوذه هو الذي هيأ له القدرة على فعل ما يشاء إيجاباً أو سلباً .
- قد يصل الأمر لدرجة شراء الدمم والتأثير على الضمير .
- للأسف تسلط أهل الترف في المجتمع من أكبر أسباب الفساد .
- قال عز وجل في الذكر الحكيم : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء] .
- لا يراعون الصالح العام بقدر ما يراعون مصالحهم ومنافعهم .

الحبر الأسود

- ولا يهتمون لإصلاح المجتمع بقدر ما يهتمون بمستقبل ثرواتهم .
- المال عندهم وسيلة لفعل أي شيء من شأنه خدمتهم بأي طريقة كانت ولو غير نزيهة أو شريفة .
- قد غلبت على أكثرهم الأنانية والانتهازية واستغلال الظروف .
- فمتى اصطدمت مصالحه بمصالح المجتمع قدم مصالحه مباشرة ودون أدنى تفكير .
- حقيقة هؤلاء وأمثالهم يخدمهم المجتمع بأسره أكثر مما يخدموه .
- وقلّ ما ينتج عنهم من خدمة حقيقية واقعية للمجتمع أصلاً .
- ولو بكلمات صادقات وعبارات هادفات مدعومة بفعل إيجابي يؤيدها على أرض الواقع .
- فصلاحتهم صلاح محدود وغالباً ما تعود نفعيته عليهم بالدرجة الأولى قبل أن ينتفع به من سواهم من أفراد المجتمع .
- وفسادهم فساد عريض لا يكاد يسلم منه أحد إلا هم .

١٠- ظاهرة سوء استغلال النفوذ

- عاشر الأخطار المحدقة بالمجتمعات هي ظاهرة استغلال النفوذ .
- حين يهيمن على مقدرات المجتمع بعض أفراد قلائل فيه يعثون بها .
- خطر يهدد الصالح العام على يد متنفذين يسيئون استغلال السلطة .
- يمتصون خيرات المجتمع والوطن ولا يرضون أن يشار بهم أحد .
- إلا من كانت تربطه بهم أو معهم مصلحة أو منفعة قائمة .
- فيفشو حينها التعامل بالمحسوبيات والوساطات والمصالح المتبادلة .
- وتغيب قيم الأمانة والنزاهة ويضعف الوازع الديني والرادع النفسي ربما لدرجة فقد الإحساس بالمسؤولية الوطنية وتلك مشكلة كبرى .
- تجعل المرء يخشى عين الرقيب التي متى غابت فقد حلّ له كل شيء .
- مثل هذا الفعل يقوض دعائم القوة ويضعف النهضة التنموية .
- ويبدد الجهود والأموال ويغيّب الأجدر ويمكن لغير المستحق .
- ويؤثر على الوعي المجتمعي العام ويروج الفساد وينتشر الاستبداد .
- ويهدم القيم ويضيع الحقوق ويجري على الظلم ويقلب الموازين .
- ظلمات بعضها فوق بعض متى أسيء استغلال النفوذ .
- فمن وُصف بأيّ من تلك الأمور أنّ له أن يصلح مجتمعه بكلمات صادقات وعبارات هادفات وهو أول من يهدمه ليحقق مصالحه .

١١ - دور الخيانة والعمالة

- الحادي عشر من الأخطار المحدقة بالمجتمع المسلم هي الخيانة العظمى والعمالة للعدو بوجهيها الظاهر والخفي .
- كلتاهما تعني القيام بأعمال تحسب ضد مصلحة المجتمع والوطن .
- سواء كانت بطريق مباشر كأعمال البحث والتحري والتجسس والتجسس والاستخبار لصالح العدو .
- أم بطريق غير مباشر حين يسهم الفرد من حيث لا يشعر بنشر ما قد يضر وطنه ومجتمعه وأمته بوجه عام .
- والخيانة العظمى والعمالة الظاهرة بكل حال رغم وخامتها وبشاعتها أقل خطراً من تلك الأفعال التي قد تصدر ممن يحسب على الوطن .
- فتضر مصالح المجتمع والوطن والأمة من بعد .
- كالولاءات والانتماءات وحركات الاستغراب وما يصنف ضمن ذلك من أفعال وأقوال ومواقف .
- تصب في النهاية في مصلحة العدو وتخدم مخططاته الظاهرة والخفية .
- والفرد هنا كما لو كان مجرد أداة في يد عدوه يحركه كيف يشاء .
- وهو لا يعلم أنه سلاح موجه في نحر مجتمعه ووطنه وأمته .
- ويكثر هذا التصرف ممن قلّ وعيهم عن إدراك المصالح العليا .

الحبر الأسود

- حين يقعون في سوء تصرف تنقلب نفعيته لصالح العدو وتنجم عنه تبعات ترهق الوطن والأمة عموماً .
- لذا ليعلم كل ذي نتاج فكري أو إسهام علمي أنه إن لم يوجه التوجيه الصحيح ليكون فاعلاً لمجتمعه واقعاً .
- أنه العدو قد يستغل ذلك فيعيد توجيهه ليقدم مصالحه هو .
- أو يضر به مصالح المجتمع المسلم بطرق عدائية ذكية موجهة .
- الكلمات هنا إن لم تكن صلاحاً كانت فساداً وهلاكاً ووبالاً .
- العبارات والكتابات كم أضرت وأفسدت ولبّست وأوهنت .
- كم من رجل صالح في نفسه لكن غفلته أضرت أكثر مما نفعت .
- كم من متحمس غيور لم يضبط حماسه وغيرته فاندفع إلى أحضان الأعداء من حيث لا يشعر أو يتنبه .
- كثيرون للأسف لما أخطأوا التصرف وأساءوا التقدير استطاع العدو استغلال ذلك الخلط والتخبط لمصلحه .
- ليعلم كل مسلم إذن أنه أحد شخصين إما جندي يقف على ثغر من الثغور كدرع مكين وحصن حصين يذاد به عن المجتمع والوطن والأمة فليحذر أن يؤتى المجتمع والوطن من قبله .
- وإما مجرد وسيلة وجسر عبور وبوابة ينفذ من خلالها الأعداء .
- يضر مجتمعه ووطنه وأمته بدلاً من أن يكون يقظاً مصلحاً حقاً .

١٢ - ضغوط المؤامرات الخفية

- آخر الأخطار المحدقة بالمجتمع والوطن والأمة من وراء ذلك .
- هي تلك المؤامرات التي تحاك ضدها في الخفاء .
- وهو وإن كان الخطر الأول من حيث عواقبه إلا إنه يصنف الأخير لأنه بيد الأعداء أما ما سبق من أخطار فهي بيد أفراد المجتمع .
- التي كان من المفترض أنهم حماة الوطن ودرعه وحصنه الحصين .
- وتفريطهم بكل حال هو أشد خطراً من خطر العدو .
- لأن العدو مهما حاول اختراق الصفوف بمؤامراته ومخططاته فلن يستطيع النفاذ ما لم يجد له من يعينه من الداخل .
- فقوة العدو الحقيقية تكمن خلف خطوط ضعف المجتمع .
- وبالتالي فضعفنا هو الفيصل الحقيقي في الأمر وليس قوة العدو .
- هذا أمر مهم جداً يجب فهمه في هذه القضية .
- والمؤامرات والمخططات لا تحاك إلا ضد المجتمعات والأمم القوية .
- ولو أنها كانت ضعيفة لتسلط عليها العدو مباشرة .
- ولما احتاج أن يحيك حولها كل تلك المخططات والمؤامرات .
- وبالتالي بقدر قوة المجتمع بقدر قوة المؤامرات التي تحاك حوله .
- وتلك المؤامرات والمخططات حتماً ستتكشف بعض خطوطها .

الحبر الأسود

- مع الوقت لا محالة هذا هو حال عالم البشر .
- وبقدر درجة التآمر بقدر تحسب المجتمعات والأوطان لذلك .
- وبقدر رفع مستوى وعي الأفراد والشعوب فيها .
- وهذا بدوره من أقوى أسباب تأخير موسم حصاد التآمر .
- وقد تتقاطع مصالح أمم مع أخرى وقد لا تتقاطع .
- وقد تختلف أحياناً توجهات وأغراض المتآمرين حول هدفهم ويبقى ذلك ظاهرياً لكن حقيقة الأمر تجمعهم وحدة الهدف .
- وما أن يتحقق على أرض الواقع ما يحلمون به إلا وتجدهم يتقاسمون فيما بينهم الغنيمة .
- والشعوب بكل حال سد منيع في وجه كل حركات التآمر .
- فعلى مر التاريخ كانت الشعوب هي الورقة الراجعة في الحقيقة في كافة المعادلات والتأرجحات كالطوفان يجرف في وجهه كل شيء .
- واللحمة الوطنية هي السلاح الأقوى والفاعل والفعال الذي به يواجه المجتمع سائر المؤامرات والمخططات وإن كانت كبرى أو عظمى .
- ولا قدرة للمتآمر على البقاء حقيقة متى وجد شعباً يقظاً يلفظه جملة وتفصيلاً ويحاربه لكا ما أوتي من وسائل متاحة .
- ولولا ذلك لاستطاع المتآمر القضاء على المجتمعات بكل سهولة .
- والعكس صحيح فمتى كان الشعب رخواً طال بقاء المتآمر وتأثيره .

الحبر الأسود

- وما خلا زمان من مؤامرات تحاك بالأوطان والمجتمعات المسالمة .
- من باب الصراع الأبدي بين الحق والباطل والخير والشر .
- أو من باب الصراع الحزبي الحركي أو المذهبي الطائفي بكل صوره .
- أو من باب الصراع بين صنّاع القرار وأصحاب الأفكار التجديدية في المجتمع ولا سيما ممن لهم نزوع قيادي .
- أو من باب الصراع بين العقول الفاعلة في المجتمعات حين يطغى مبدأ النظرة الواحدة فتصادر بسببه الآراء ويلغى منهج التعددية التكاملية .
- كل ذلك للأسف يؤر اضطراب وفتناً ومحنأً قد تستخدم فيها الكلمات للإضرار والهلاك والدمار .
- وبالجملة فالتآمر خطر محقق بالمجتمعات وبالأمة من وراء ذلك .
- لكنه لا يخيف متى كانت الشعوب يقظة له متفطنة لمخططاته .
- لأنه في حقيقته يعد من أقوى أسباب إيقاظ الشعوب من غفلتها .
- ورفع مستوى وعيها واهتمتها وجاهزيتها .
- وتحسبها للظروف والطوارئ لتكون أقدر على مواجهة العدو .
- ولو التآمر لقتلت الدعة الشعوب ولغرقت في بحار الترف والنعيم .

الفصل الخامس : صدى الكلمات

- ١ - الإصلاح المتعمد .
- ٢ - الإصلاح رغم إرادة الإفساد .
- ٣ - الإفساد نتيجة الإصلاح الخاطئ .
- ٤ - الإفساد المتعمد .

هي آثار للكلمات وصداها الذي يرن
قد يبقى طويلاً وقد يزول سريعاً
منها النافع المصلح ومنها الضار المفسد
يأسر القلوب والعقول والنفوس أو يحررها



١- الإصلاح المتعمد

- إرادة الإصلاح الحقيقي أعمال تنبع من قلب طاهر نقي .
- يتبعها كلمات صادقات وعبارات نيرات .
- يبقى صدها في العقول ووقعها في النفوس طويلاً .
- يتبع ذلك عمل حثيث وجهد متواصل قدر الممكن والمتاح .
- في كل أحواله وحالاته يبني ولا يهدم .
- يراعي الفوارق ويعطي فرصة للفهم والإدراك .
- هدفه الإرشاد والترشيد والتوجيه والتوعية والتعليم والتثقيف .
- منهجه الاعتدال والاعتزان والوسطية والموازنة والمواكبة والملائمة .
- أسمى غاياته الرقي والازدهار والتنمية الحقيقية .
- لا يصادم المصالح والمنافع من أي وجه كان .
- لا يكلف ولا يرهق ولا يوجد العقبات بل يزيلها .
- يهتم بكل أفراد المجتمع دون تمييز أو تفريق .
- يراعي فقه الواقع بكل تفهم ومسؤولية .
- هو سياج المجتمع من كل دخيل يقاومه ويكشف زيفه .
- يسعى إلى التغيير إلى الحسن بل والأحسن .
- تأثيره متكامل غالباً جامع بين الناحيتين المادية والمعنوية .

٢- الإصلاح رغم إرادة الإفساد

- كثير ما يخرج الإصلاح من تحت عباءة الإفساد عن غير قصد .
- وكم من مفسد أراد سوءاً فإذا بكلماته وعباراته تحدث خيراً .
- وذلك لأن الأصل في الكلمات والعبارات أنها تحسب بقيمتها وبما تحدثه وليس بقيمة قائلها أو هدفه منها .
- فرب فاسد مفسد أصلح ونفع عن غير نية ولا مقصد أصلاً .
- وهذا من عجيب القول حين يعطي خلاف ما أريد منه .
- وهو من أكبر الأدلة على أن الإنسان في الحقيقة لا يملك الكلمات بقدر ما تملكه هي .
- فلعله أضر وأفسد واقعاً وهو يحسب أنه ينفع ويصلح .
- وقد ينفع ويصلح فعلاً وهو يعتقد أن يضر ويفسد .
- وكما قيل : رب ضارة نافعة والعكس صحيح أيضاً .
- والعبرة بما حصل ووقع وليس بما أراد الإنسان وفكر فيه .
- فمتى حصل المطلوب ووقع المرغوب ولو عن غير قصد أو نية فهو خير يقبل ويؤخذ به مباشرة .
- لأن الغاية السعيدة مطلوبة في كل الأحوال ولو جاءت قدراً .
- المهم تحقق الإصلاح فعلاً وواقعاً وانتفاع الناس به ومنه .

٣- الإفساد نتيجة الإصلاح الخاطئ

- النية الصادقة وحدها لا تكفي في إرادة الإصلاح الحقيقي .
- بل لا بد من علم يصون وفهم يعين وعقل راجح ووعي راشد .
- فضلاً عن الصدق مع الله تعالى والإخلاص في العمل .
- كل تلك مقومات تتكئ على بصيرة ومنهج حق يُتبع .
- ومقومات لا بد منها في أي إصلاح حقيقي .
- متى فقد أيُّ منها فقد تنعكس نتاجه .
- فكم من مصلح صادق مخلص حريص حقاً .
- وقع فيما لا تحمد عقباه من أمور للأسف .
- لما غابت عنه إحدى هذه المقومات أو أكثر من باب أولى .
- والسبب إما سوء الفهم وإما سوء التطبيق .
- كلاهما قد ينتج عنه فساد رغم أن صاحبه أراد الإصلاح .
- كما أن الجهل مشكلة كبرى يفسد أكثر مما يصلح .
- كذلك العلم بلا فهم ووعي قد يوقع في الحرج والمشكلات .
- وعقل مغيب أو غير ناضج لا ينظر إلى أبعاد الأمور خطر كبير .
- مفسد قد تنشأ بسبب إصلاح غير منضبط ولا منهجي .
- أو إصلاح مشوش غير موجه قد يضر أكثر مما ينفع .

الحبر الأسود

- كل تلك حركات تركها أولى من النهوض بها .
- حتى لا تحدث بلبلة في أية إرادة إصلاح حقيقي .
- وحتى لا تحسب على أنها حركات إفساد بواجهة إصلاحية .
- وحينها تختلط على الناس الأمور بين مصلح ومفسد .
- ويضطرب حال المجتمع بين دعاة حق ورشد يصلحون بحق .
- وبين سعاة فتنة وضلال يفسدون في الخفاء .
- ويظهرون الإصلاح كواجهة يستخفون بها وخلفها .
- ليضمنوا رواج أفكارهم وبقاء آثارهم .
- إذن الوعي مهم جداً في فهم وتقدير مثل هذه الأمور .
- والنظر في أبعادها من كل وجه وفي حساب عواقبها .
- حتى لا يخرج أدنى فساد من تحت عباءة الإصلاح .
- فرب كلمة تفسد لأن قائلها أو كاتبها لم يضبط مقصده .
- فليتحر كل قائل لما يقول وكل كاتب لما يكتب .
- حتى لا يفسد وهو يريد الإصلاح ويحسب أنه من المصلحين .

٤ - الإفساد المتعمد

- هو كل عمل قصد به مضادة الإصلاح الحقيقي والتنمية الفاعلة .
- أو أريد به إفساد ما كان صالحاً في الأصل .
- لأن الأرض موضوعة على هيئة الصلاح الحق .
- ومنهج الله تعالى الذي وضع لعباده كذلك جاء بالإصلاح .
- ولا يمكن أن ينشأ عنه أدنى فساد مطلقاً فضلاً عن الإفساد .
- في الذكر الحكيم قال جل في علاه : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف] .
- وللإفساد مناهج كثيرة في مقدمتها إرادة الفساد الصريحة .
- بقصد دحض الحق ومصادمته والترويج للباطل لتمكيته .
- فكما أن للحق أعواناً كذلك للباطل أعواناً سنة كونية في الأرض .
- ثاني مناهج الإفساد المتعمد البلبلة والتلبيس على الناس .
- بقصد قلب الحقائق وتزييف الأمور للتنفير من الحق وتزيين الباطل .
- ثالث تلك المناهج تصوير الأمور على غير مرادها .
- فيرتدي الباطل ثوب الحق ويُلبس الحق ثوب الباطل .
- بقصد التخليط بين الأمور فلا يعرف هذا من ذاك .
- رابع تلك المناهج التزهيد في معرفة الحق وقبوله والعمل به .

الحبر الأسود

- والتساهل في معرفة الباطل والحذر منه والبعد عنه .
- مما يعني تميع الحد الفاصل بين الأمور استخفافاً بها .
- خامس تلك المناهج شراء الذمم والأصوات لتكون أعواناً في تعرية الحق من الحقيقة والترويج للباطل ما أمكن ذلك .
- سادس تلك المناهج المفاوضات والمساومات على الحق .
- للظفر بشيء من الباطل ولو كان زهيداً في بادئ الأمر .
- سابع تلك المناهج الإرغام على تقديم تنازلات عن الحق جزئياً .
- بقصد استبقاء أكثره بكل حال .
- ثامن تلك المناهج التشكيك في الناطقين بالحق تنفيراً منهم .
- وبالتالي هجر كل ما يصدر عنهم جملة وتفصيلاً .
- فيضيع الحق بضياح مصدره المأمون الذي عنه يؤخذ .
- كل تلك طرق يعمد إليها أهل الفساد والإفساد المتعمد .
- بكلمات قليلة لكن لعل أثرها كبير .
- ليظهروا الحق مجرداً من قيمه فيبدو الباطل كما لو كان هو الحق .
- والحق حق ولو كره المبطلون ومهما فعل المرجفون .
- والباطل زاهق ولو طال وعاقبة أمره ولو استطار إلى زوال .

الفصل السادس : منحنيات التأثير

- ١- المنحنى الديني .
- ٢- المنحنى الاجتماعي .
- ٣- المنحنى الثقافي .
- ٤- المنحنى السياسي .
- ٥- المنحنى المالي .
- ٦- المنحنى الإعلامي .
- ٧- المنحنى التعليمي .

هي مؤثرات قوية على آلية الإصلاح المجتمعي
لها القدرة على توجيهها إيجاباً أو سلباً
التحكم فيها يعني التحكم في الوعي العام
لأنها تعتبر هي المحركات الفاعلة والفعّالة فيه



١ - المنحنى الديني

- أول منحنيات التأثير والتغيير في المجتمعات هو المنحنى الديني .
- وجُل أصحاب التوجهات والحركات يتكئون عليه .
- لعلمهم بما للدين من قداسة واحترام بالغ في النفوس .
- من شأنه التأثير المباشر على حياة الأفراد .
- وفي كثير من المجتمعات نجد أن الحركات الدينية أو ما يمت لها بصلة هي فرس الرهان والمحرك الأول للجماهير .
- ونجد أن الشعوب تتفاعل مع كل من نادى بالحقوق .
- وزعم أنه المنقذ لها والمقيم لشرع الله تعالى الغائب عن الساحة .
- كذلك على مستوى الدعاة والمتكلمين .
- كل من تكلم باسم الدين تعاطفت معه الشعوب أكثر من غيره .
- إذن الدين هو المحرك الأول للجماهير والشعوب .
- فرب كلمة أو خطبة أو محاضرة جيشت المئات بل الآلاف .
- المنحنى الديني له قوة حضور وتأثير لا يستهان به .
- مما يعني وجوب الاهتمام به للاستفادة القصوى منه .
- بما يعين المجتمع على التعامل مع قضاياها لتحقيق النفع الأكيد .
- ويدراً الضرر الموهوم والمفاسد المحتملة .

٢- المنحنى الاجتماعي

- في كل مجتمع قضايا تؤرق أفرادَه يحتاج إلى من يسهم في حلها .
- وتختلف المجتمعات من حيث المشكلات والداءات الموجودة فيها .
- والاسهام في معالجتها والتعامل معها بمسؤولية تقع على عاتق المصلحين وأصحاب الكلمات والتأثير والنفوذ والسلطة .
- وبالأخص العلماء والمثقفين ومن لهم كلمات مؤثرة وصوت مسموع في مجتمعهم ووطنهم .
- وبقدر الإسهام في بناء المجتمع والتعاطي مع قضاياها المؤرقة .
- بقدر علو شأن المصلح الناهض بذلك .
- من هنا كل المصلحون المخلصون من جملة صنّاع القرار حقيقة .
- حين يهتمون برفعة شأن مجتمعهم بما يحقق النفع والمصلحة .
- يزداد الأمر قوة حين يتعايشون مع الناس ويحملون همومهم .
- فلا ينفصلون عنهم كما لو كانوا مجرد منظرين في برج عاجٍ .
- أفراد المجتمع يحتاجون لمن يسهم في بنائه واقعياً وعملياً .
- ويعالج قضاياهم عن قرب وليس مجرد تنظير وطرح نظري وحسب .
- أولئك هم أصحاب الكلمات المؤثرة والتغيير الفعلي في المجتمع .
- أقوال صادقة تتكئ على مناهج متوازنة تتبعها أعمال واقعية معتدلة .

٣- المنحنى الثقافي

- الثقافة السائدة في المجتمع ومستوى الوعي فيه والحس اليقظ .
- كل تلك أمور تعكس لنا صورة حية عن كيفية معيشة الناس .
- من جميع النواحي وبالأخص الثقافي الذي يمثل قوة وذخيرة حقيقية .
- به تواجه المجتمعات كافة التحديات ولا سيما الدخيلة عليها .
- والثقافة الحقيقية عبارة عن مربّع يتكون من دين وعلم وفكر ووعي .
- فإن فقد أحد هذه الأركان الأربعة اختل ميزان الثقافة في المجتمع .
- فرب مجتمع ديني لكن ليس له علم يصونه أو فكر يرشده أو وعي يوقفه على واقع الحياة .
- ورب مجتمع علمي للغاية لكن بلا دين يقيمه أو فكر يوجهه .
- ورب مجتمع دين وعلم لكن بلا فكر ناضج يوقفه على الحقائق .
- ورب مجتمع دين وعلم وفكر لكنه غافل منفصل عن واقع الحياة .
- الثقافة تعني تكاملاً في منهجيات الحياة بكلمات وعبارات بناءه .
- والمجتمعات تحتاج بكل حال لثقافة متكاملة متوازنة معتدلة .
- لأن طغيان ركن على آخر يعني الانحراف عن جادة الصواب .
- وهذا ما جعل جل المجتمعات تتأرجح بين تيارات لا مسقرة .
- تتجاذبها من كل حذب وصوب نتيجة اختلال ميزان الثقافة فيها .

٤ - المنحنى السياسي

- يعد استقرار الوضع السياسي من أكبر عوامل استقرار المجتمعات .
- وهو لا ينفك بحال عن الوضع الديني مطلقاً .
- وبقدر تكاملهما بقدر استقرار المجتمعات دينياً وفكرياً واجتماعياً .
- وكلما اضطرب الوضع الديني اضطرب الوضع السياسي .
- والعكس صحيح فاضطراب الوضع السياسي يضر الوضع الديني .
- والأصل أن السياسة جزء من تعاليم شريعة الدين الحق .
- وهذا يعني وجوب تعاون رجلي السلطة والعلم فيما بينهما .
- فالعالم يبين للناس أمور دينهم ويحذرهم من عاقبة الانفلات الأمني .
- ورجل الدولة يقيم العدل ويبين للناس حقوقهم لينتظم عقدهم .
- والخلاف بين العالم ورجل الدولة يضر المجتمع من حيث العموم .
- حين يعمل كل منهما ضد الآخر معتقداً أن الصلاح في ذلك .
- وهما بذلك يسهلان على العدو الولوج بل التوغل إلى أراضي الوطن والمجتمع ليوجد له موطئ قدم من خلاله يعيث في الأرض فساداً .
- هذا مشكلة حقيقية غرقت فيها كثير من المجتمعات ولم تنفطن لها .
- فكلمات السياسيين قد تضر المجتمع ما لم يراعوا الجوانب الأخرى .
- وغيرهم كذلك قد تضر كلماتهم بالجميع ما لم يراعوا الصالح العام .

٥- المنحنى المالي

- المال سلاح بيد كل صاحب توجه معين .
- به يستطيع فعل ما يشاء لدرجة استمالة القلوب وتغيير النفوس .
- فهو في حقيقته سلطان في المجتمع يؤثر بقوة على الأفراد .
- من خلاله يسعى ذووه لإنجاح ما يريدون وتسهيل ما يرغبون .
- بالمال تشتري الذمم وتتغير المواقف وتصاغ السياسات .
- بالمال تشيد وتبني وتتصرف وتشتري ما تريد لتقوية جانبك .
- بالمال تستثمر ليكون لديك جناحاً مالياً داعماً لما تخطط له .
- بالمال تستطيع التأثير على خصومك ظاهراً وباطناً .
- فصاحب المال كما يقال سلطان غير متوج وكلمته نافذة .
- وعامة أصحاب التوجهات الظاهرة والخفية يسعون دوماً لامتلاك المال الوفير للسيطرة على الأوضاع ومن ثم القدرة على التغيير والتوجيه .
- وبالتالي ضمان نتائج إيجابية في إنجاح مخططاتهم ومساعدتهم .
- فبقدر السيولة المادية بقدر تسهيل التنفيذ ومن ثم الوصول للمراد .
- ولا سيما متى تعددت مصادر الدخل المعلنة والخفية .
- لضمان عدم التأثير عليها وتخفيف منابعتها الداعمة .
- كلمة صاحب المال مؤثرة جداً فصلاحتها قوة وفسدها قوة .

٦- المنحنى الإعلامي

- للحركة الإعلامية أهمية كبرى وتأثير بالغ على عموم حركات المجتمع سواء المشاريع الإصلاحية أم التنمية والنهضوية .
- وأثر ظاهر لا يمكن إغفاله في توجيه وإعادة توجيه الأفراد في المجتمع ولا سيما في عصر التكنولوجيا الحديثة .
- والطفرة الإعلامية الفريدة التي صار بوسعها توجه كل فرد على حدة عبر جهاز صغير الحجم يحمله في يده .
- والكلمات والعبارات والمواد الإعلامية التي تضخها وسائل الإعلام الحديثة اليوم أضحت لا حدود لها .
- مما جعل لها إمكانية التلاعب بعقول الناس ربما لدرجة القدرة على تغيير قناعاتهم أو تلبيس الحقائق عليهم .
- بمعنى أن الإعلام جهاز تأثير قوي يتجاوز كل وسائل التأثير والتغيير الأخرى لأن باستطاعته توجيه الملايين لمن يريد عبر وسائله التي طوقت حدود الأرض واخترقت كل الجُدُر .
- ولهذا فالسيطرة على وسائل الإعلام تعني إلى حد كبير السيطرة على عقول الناس وعلى قلوبهم ونفوسهم وتغذيتها بما يراد لها ومنها .
- وهذا أمر بالغ الخطورة لأنه سلاح ذو حدين يصلح ويفسد .

٧- المنحنى التعليمي

- العلم هو أول معاول البناء الرئيسة في كل مجتمع ولا ريب .
- وبضده الجهل هو أس أساسات الهدم وتقويض دعائم النهضة والتنمية في سائر المجتمعات .
- المستوى التعليمي مؤثر جداً في عموم المشاريع الإصلاحية والحركات الوطنية التي من شأنها خدمة المجتمع .
- فالمتعلم والمثقف عطاؤه يختلف ولا ريب عمن هو أقل منه .
- وتأثير الكلمات والعبارات وأثرها وبقاء صداها كل تلك أمور يحددها مستوى الناطق والكاتب وسعة علمه ووعيه من عدم ذلك .
- وبقدر مستواه التعليمي المتقدم تكون إسهاماته ومشاركاته في بناء مجتمعه ووطنه إيجابية .
- كما أن صاحب المستوى التعليمي المتقدم يكون أقدر على تفهم واقع الناس وأكثر تأثيراً في معالجة قضايا مجتمعه .
- مما يعني القدرة على التوجيه الفاعل وإعادة التوجيه المجدي للأفراد .
- ليكونوا أكثر وعياً وفاعلية في بناء مجتمعهم ورقية ونهضته وتطويره .
- والمشاركة الحقيقية في القضاء على كل ما يضر به أو يفسده من قضايا ومورقات تطوف بسمائه .

الفصل السابع : وسائل التغيير

- ١- التغيير المباشر .
- ٢- التغيير غير المباشر .

هي الآليات المعمول بها بقصد إنجاح الإصلاح
منها مناهج ظاهرة ومنها مناهج خفية
وصفها بالشفافية يكسبها القوة والتأييد
أقوى عواملها الوضوح والدقة والاستمرارية



١ - التغيير المباشر

- الصواب وضوح سائر مشروعات التغيير ومعرفة كافة أهدافها .
- على نحو لا غموض فيه ولا خفاء ولا تلبيس ولا تدليس .
- بقصد التنمية والتطوير والتقدم والرقى والازدهار والرفاهية .
- ووضوح كلمات التغيير وحر كاته من أكبر عوامل النجاح .
- حين يعي المجتمع المقصد الرئيس منها فيكون معيناً لها .
- مشاركاً في إنجازها مستفيداً من عوائد نتائجها بوجه عام .
- وكلما اتسمت حركة الإصلاح بالشفافية اكتسبت تأييداً أكبر .
- وبالأخص متى كان لها هامش للنقد البناء للصقل وتلافي الأخطاء .
- وسائر مشروعات التغيير والإصلاح لا قيمة لها ما لم تكن ذات عوائد ملموسة على أرض الواقع ويتحقق منها جدية النفع .
- وبالتالي فقيمتها متعلقة بمدى خدمتها للأفراد والشعوب .
- مستوعبة أكبر شريحة ممكنة من أفراد المجتمع .
- لا تقف نفعيتها على محدودين بعينهم ليس إلا .
- فكما أن الكل سيشارك فهذا يعني أن الكل يجب أن يستفيد منها .
- وبهذا لن تجد من يعارضها أو ينتقدها محاولاً التقليل من شأنها .
- فتكون حينها قد حققت جوهر التغيير المرجو والمرنو .

الحبر الأسود

- والتغير المباشر يجب أن يتسم بالتدرج في عملية التغير .
- حتى لا يحدث ربكة واضطراباً في مجمل العملية التطويرية .
- وهذا في الحقيقة يعد من أكبر عيوب سائر عمليات التطوير ومشاريع الإصلاح .
- حين يتعجل ذووها تحقيق النتائج وإحراز التغير المطلوب في أقصر وقت ممكن مع أقل هامش من الأخطاء .
- وغالباً ما يكون من شبه المحال أن تتسم مشاريع التنمية والتطوير بالتوازن المطلوب في مثل تلك الظروف .
- والتي كان من المفترض أن تأخذ وقتها المناسب والأنسب لجني الثمرة المرجوة كما يجب .
- التسرع في التنفيذ واستعجال النتائج غالباً ما ينشأ عنه خلل يضر وزلل يفسد كان يمكن تلافيه بقليل من التريث والتركيز .
- إذ لا عبرة باستعجال النتائج والتسرع في تنفيذ كافة مشاريع التغير والتنمية والإصلاح .
- وإنما العبرة في الإجادة والإتقان ولو تأخر جني الثمار قليلاً .
- فنتائج مضمونة وعلى مستوى عالٍ من الإنجاز خير من تسرع قد يأتي بما ليس بمرغوب ولا مطلوب .
- وقديماً قيل : رب عجلة تهب ريثاً .

٢- التغيير غير المباشر

- كل حركة تغيير اتخذت من التخفي منهجاً لها فذلك أكبر دليل على عدم نزاهتها ومؤشر على أنها تنطوي على ما لا يحمد أمره .
- وهذا في حد ذاته دليل على عورة سترت مما يعني وجوب رفضها .
- التخفي عن المجتمع أفراداً وشعوباً هو أمر خطير بحق .
- لأنه يعني العمل ضدهم لا لمصلحتهم ولا لنفعهم .
- وبقدر تخفي الحركة وستر منهجها وخطة سيرها .
- بقدر فسادها المستشري في المجتمع الذي سينكشف مع الوقت .
- الكلمات والحركات الخفية فسادها أكثر بكثير من إصلاحها .
- حتى وإن كانت تحوي منافع ظاهرة فهي ولا ريب تحوي مضار ومفاسد الله بها عليم .
- ولو أنها كانت نزيهة لاتخذت من الوضوح والشفافية منهجاً عاماً .
- التخفي والتستر والعمل في الليل وعتمة الظلام يعني التآمر .
- والمجتمع بكافة أطرافه يحتاج لمن يمد يده له لينتشله ويخفف عنه .
- وليس لمن يعمل على حسابه فيستفيد من وراء ظهره .
- لكن هذا لا يعني بحال أن الإصلاح والتغيير لا يحوي جانباً سرياً لضمان نجاحه فذاك أمر لا بد منه ليس هو المقصود هنا .

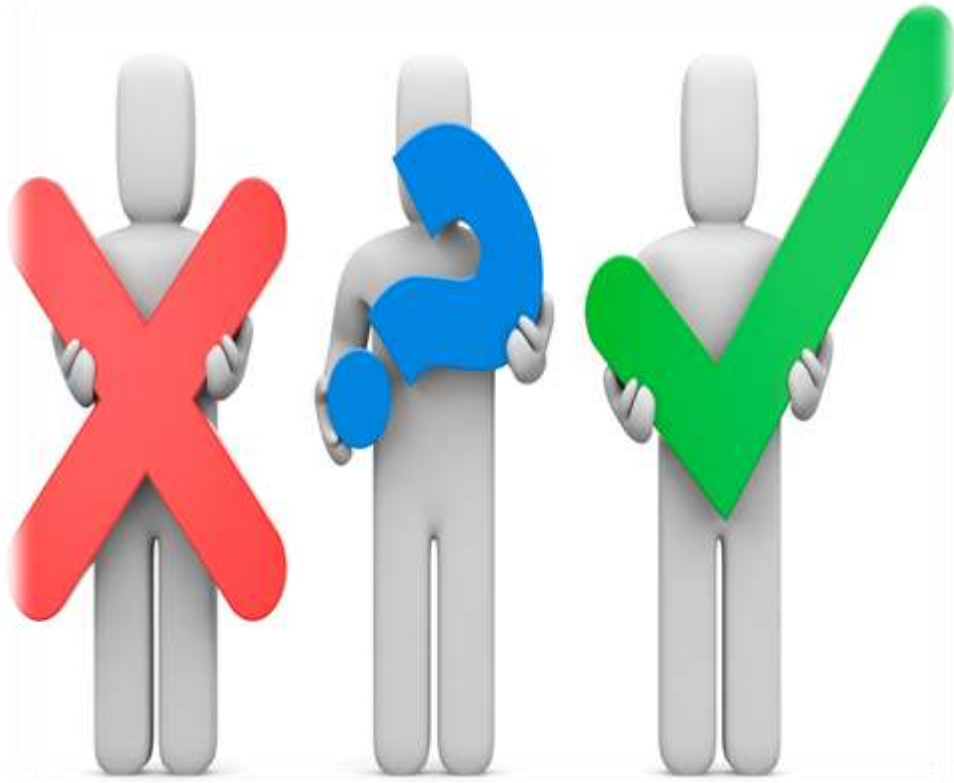
الحبر الأسود

- فالسرية أمر مهم جداً لضمان إنجاح المشاريع التنموية والمشاريع الإصلاحية الوطنية .
- والسرية هنا تعني الخصوصية بالمعنى الدقيق وليس التكتم والتخفي فليس ذلك المراد بحال .
- لأن عامة مشاريع الإصلاح وحركات التنمية تحتاج لمشاركة مجتمعية لإنجاحها على الوجه المطلوب .
- والتكتم والتخفي قد يجعلان الشعوب تستريب في الأمر فتقف منها موقف الضد وربما الخصم .
- وقديماً قيل : الإنسان عدوٌ لما يجهل .
- هذه مشكلة كان يمكن تجاوزها بقليل من التفهّم لحقيقة الأمر .
- لتعي الشعوب ماذا يراد بها ومنها ولها مع الوقت .
- في القريب العاجل والآجل .

الفصل الثامن : نتائج التغيير

- ١ - التغيير الإيجابي الفعّال .
- ٢ - التغيير السلبي المؤثر .

هي إفرازات لعموم آليات الإصلاح المجتمعي
الإيجابي منها ما حقق الأهداف المرجوة
والسلبي ما لم يحقق ذلك إخفاقاً أو تفريطاً
العبرة ليست التغير بقدر تصحيح الوجهة



١ - التغيير الإيجابي الفعّال

- أهم ما في الأمر لأي مشروع إصلاحى هو إفراز نتائج إيجابية .
- بها ومن خلالها يرقى المجتمع ويزدهر وتتطور ثقافته سعياً إلى العلا .
- ويعلو شأن الأفراد فيه ويعم جو التفاهم فيما بينهم .
- التغيير الفعال يعني أجيالاً واعية لمسؤولياتها فطنة لما يحاط بها .
- يعني موجات تغيير صحية من شأنها زيادة وعي الأفراد .
- يعني نجاح عملية الإصلاح الحاصلة في المجتمع .
- كما يعني نضج القائمين بها ومدى استيعابهم لقضايا المجتمع .
- وتعاملهم معه بكل مسؤولية تامة لضمان النفع والمصلحة .
- والكلمات في مثل هذه الأحوال مؤثرة جداً إيجاباً وسلباً .
- التغيير الإيجابي مطلوب وبشدة لأنه حلقة وصل بين الأجيال .
- فبين كل جيلين فوارق كثيرة والتغيير يعني الربط الإيجابي بينهما .
- وبالتالي عدم وقوف الجيل السابق على حدود الماضي متخلفاً .
- وعدم انفلات الجيل الجديد عن قيم ومعاني الأصالة متحلاً .
- وبهذا صار التغيير الإيجابي عجلة موازنة فيما بين الأجيال .
- بالإضافة إلى كونه صوت مطلوب لا يمكن الاستغناء عنه مطلقاً .
- لأنه يلي حاجيات المجتمع وفق متطلبات العصر وإمكاناته المتاحة .

٢- التغيير السلبي المؤثر

- من أكبر أسباب عرقلة مساعي أي مشروع إصلاحي ما قد ينشأ عنه من تغيير سلبي مؤثر أو روتيني غير مجدي .
- التغيير السلبي في حقيقته أكبر معاول الهدم الذاتي .
- لأن النتائج السلبية من شأنها تراجع وتقهر وتخاذل وانهازمية .
- وبالتالي فالجمود حينها خير من التغيير السلبي بكل حال .
- على الأقل يبقى المجتمع على حال مستقر وإن كان غير مرضٍ .
- بالإضافة إلى أن التغيير السلبي قد يكلف المجتمع ويرهق الأفراد .
- فكان الأولى أن لا ينشغلوا به لئلا يزدادوا غرقاً وتيهاً .
- وتبديداً للقوى وهدرأً للطاقات فضلاً عن إرهاق الفكر .
- وعلى ذلك فالتغيير إن لم يكن مضمون النتائج كان تركه أولى .
- لأن المقصد الرئيس والهدف الأول من التغيير إنما هو التجديد والتطوير والتقدم لا الجمود والتخلف والتقهر .
- وحركات التغيير في سائر المجتمعات تحسب بكيفها لا بكمها .
- فرب كلمات معدودة وحركات محدودة تأتي على مستوى الحدث .
- ورب العشرات من كلمات التغيير وحركاته جُلُّها تبديد وإرهاق .
- ومربط الفرس هو فهم الواقع ومن ثم الانطلاق نحو الممكن والمتاح .

الفصل التاسع : مستويات الوعي المجتمعي

- ١ - مستوى التّدين المتوازن المعتدل .
- ٢ - مستوى الثقافة الأصيلة .
- ٣ - مستوى الترابط ونبذ العنصرية .
- ٤ - مستوى التمدُّن وإمكانية الرقي .
- ٥ - مستوى الواقعية في الطرح .
- ٦ - مستوى مراعاة خصوصية المجتمع .
- ٧ - مستوى المسؤولية والتفطُّن للدخيل .
- ٨ - مستوى التفكك الأسري .
- ٩ - مستوى الحفاظ على مقدرات الوطن .

هي معايير تحدد مدى وعي الأفراد في المجتمع
تختلف من مجتمع لآخر لأسباب كثيرة
العناية بها يعني القدرة على توجيهها إيجابياً
والتغافل عنها يعني تدني مستوى الوعي العام



١ - مستوى التدين المتوازن المعتدل

- تختلف درجة تدين الأفراد في المجتمع بين مستمسك بدينه ومفرط فيه ومنحل عنه ومخافٍ له .
- وطرف آخر متشدد لدرجة الانحراف عن جادة الصواب .
- وهذا بدوره يوجد اختلاف الحس الديني لديهم ولا ريب .
- ويجعلهم يتباينون في تعاطيهم للأمور كلُّ له نظرة وتصور في معالجة قضايا المجتمع تختلف عن الآخرين .
- يركز عطاؤه وكلماته على مستوى تدينه وفهمه وتقديراته الخاصة .
- والخطورة هنا أن المجتمع إن لم يوجد فيه تيار التوازن والاعتدال .
- طغت عليه موجات الفرقة والاختلاف ربما لدرجة التنافر .
- الذي يدفع كثيراً منهم إلى مصادرة الآراء وتبني توجه الرأي الواحد الذي لا يقبل التعددية .
- مما يوقع الشعوب في دوامات الخلافات المقيتة والتحيزات المذمومة .
- ونتيجة لذلك ينشغل الناس بردود ومهاترات فيما بينهم .
- مما يضعف مستوى الوعي العام لدى الأفراد لما يحاك بالمجتمع من تحديات مصيرية كان الأولى الالتفات إليها والانشغال بها .
- فذلك هو الأوجب الذي يحوي كل الخير للجميع لو كانوا يعلمون .

٢- مستوى الثقافة الأصيلة

- للثقافة ثقل لا يستهان به في كل مجتمع وبقدرة يعي الأفراد والجماعات واجباتهم تجاه أوطانهم .
- وارتفاع مستوى الثقافة مؤشر إيجابي على وعي الناس ومدى تفاعلهم مع قضاياهم المصيرية يظهر ذلك من صياغة كلماتهم وعباراتهم .
- وانخفاض مستواها يعني غفلتهم واستخفافهم بما يهمهم من أمور .
- كما أن نوعية الثقافة عامل مهم في الموضوع ولا ريب .
- فالمثقف المتدين يختلف تماماً عن المثقف المنحل عن دينه .
- والمثقف الناضج المتسامح وضعه ولا ريب يختلف عن المثقف صاحب التوجه المعين .
- وأيضاً الثقافة المنفتحة على الشرق تختلف بعض الشيء عن الثقافة المنفتحة على الغرب إذ لكل منهم منهج متبع .
- كما أن المثقف الذي يعي قضايا أمته ويراعي خصوصيتها يختلف عن المثقف الذي يغفل عن ذلك ولا يراعي فوارق المجتمعات .
- إذن الثقافة سلاح ذو حدين فليس الناضج الواعي كغيره .
- وليس الغيور على مجتمعه ووطنه وأمته كسواه .
- مربّع الثقافة المتزنة المعتدلة هو تدين وعلم ونضج وفطنة .

٣- مستوى الترابط ونبد العنصرية

- تختلف المجتمعات من حيث ترابط الأفراد فيما بينهم لعوامل عدة .
- فمجتمع نسق التفاهم فيما بين الأفراد مرتفع يختلف عن مجتمع آخر النسق فيه منخفض وعن ثالث النسق فيه متوسط .
- وهذا وريب يؤثر إيجاباً وسلباً على مستوى الوعي العام .
- كما أن اختلاف نوعية ذلك الترابط يؤثر بدوره تبعاً على سلوك الأفراد وفي مستوى وعيهم وصياغتهم للكلمات والعبارات .
- هذا فضلاً عن التيارات والحزبيات وموجات التغيير في المجتمع التي تعصف به تؤثر بدورها على ترابط الأفراد فيما بينهم ولا ريب .
- وتولد الانقسام نتيجة التباين في فهم الأمور وكيفية التعامل معها .
- غير أن الشعب كلما ارتبط ببعضه بقوة وانسجام وتحققت لُحمته واختفت منه صور العنصرية كان التأثير عليه صعباً وربما أصعب .
- وكلما تفكك نسيج الشعب كان التأثير عليه سهلاً وربما أسهل .
- مربوط الفرس في نبد العنصرية والتركيز على قضية وحدة المصير .
- والتفطن لحركات الفساد وتحركاته حفاضاً على الصالح العام .
- وهذا يستلزم إلغاء الخلافات القائمة بين الأفراد والوقوف صفاً واحداً تجاه قضايا المجتمع والأمة هذا هو الأولى والأوجب ولا ريب .

٤ - مستوى التمدُّن وإمكانية الرقي

- لكل مجتمع وضع معين فيما يخص مسألة المدنية والانفتاحية فيه .
- والتطور الحاصل والتقدم العلمي المسابق للزمن في كل المجالات .
- أمور تؤثر بوضوح على حياة الأفراد والشعوب والمجتمعات .
- وتملي عليه وعياً من نوع خاص لا يستطيع الانفكاك عنه ولا منه .
- ودرجة التمدُّن ونوعيته لها تأثير في صياغة الكلمات والعبارات .
- فمجتمع مدني حاد منفتح يختلف وضع الناس فيه عن مجتمع مدني متوسط متحفظ عن مجتمع مغلق نسبياً عن مجتمع مغلق تماماً .
- وتلعب وسائل المدنية الحديثة المتمثلة في وسائل التكنولوجيا دوراً مهماً في نشر الوعي بصورة كبيرة أو في إفساده حتى .
- لما لها من خطورة بالغة لأنها سلاح ذو حدين قد يصلح وقد يفسد .
- قد تنشر وعياً ناضجاً وقد تنشر أباطيل وأكاذيب وضلالات .
- فتلبس على الناس أمورهم وتشككهم في ثوابتهم .
- وهذا بدوره يصرف كثيراً منهم عن نصرة قضايا المجتمع والأمة بالمنهج المتوازن المعتدل الذي لا انحراف فيه ولا تطرف .
- فيقع حينها في دوامة الفوضى ودائرة التخبط نتيجة اللا منهجية بدلاً من استغلال تلك الوسائل في نشر الوعي العام ورفع مستواه .

٥ - مستوى الواقعية في الطرح

- من المهم جداً في سائر مشاريع الإصلاح الوطنية والحركات التنموية والنهضة المجتمعية موافقتها للواقع .
- فالطرح الواقعي الهادف يعني الجدوية وإمكانية التطبيق والنجاح وجني الثمار المرجوة بالفعل .
- وملامسة الاحتياجات الحقيقية للمجتمعات والشعوب .
- والعمل على إنجازها بحسب الممكن والمتاح خلال وقت محدد لها وفق خطط عملية ممكنة التطبيق .
- أما متى كان الطرح بعيداً عن إمكانية التطبيق الفعلي فذاك يعني عبثية التفكير وفقد قيمة العمل الحقيقي وإهدار الوقت وتبديد الجهد والمال .
- وبالتالي فهو بذلك جهد ضائع لا قيمة له ولا نفع منه ولا فيه .
- وهذا بدوره يخلق أجيالاً مهمشة تفقد قيمة التفكير الجاد والعمل المسؤول ولا تأبه به ليكون على مستوى الحدث .
- إذن قيمة الواقعية ربط الإنسان بواقع الحياة ليكون طرحه إيجابياً قدر المستطاع في مجمل حركتها وجميع مجالاتها ومناحيها .
- هذا هو المطلوب فعلاً إيجابياً وواقعاً حقيقياً .
- وليس مجرد طرح نظري على الورق مرهقاً ومبدداً ليس إلا .

٦- مستوى مراعاة خصوصية المجتمع

- خصوصية المجتمع تفرض على القائمين عليه الالتزام بها .
- من باب وضع الشيء المناسب في المكان المناسب .
- ومن باب أن له ما له وأن عليه ما عليه مميزة تميزه عن غيره .
- وأكبر البأس الحاصل في المقارنة بين المجتمعات دون مراعاة لمسألة الخصوصية بقصد المساواة فيما بينها رغم كثرة الفوارق القائمة .
- مما يحمل كثيرون على التقليد والمحاكاة إظهاراً للرقى والتحضر .
- وإن كانت تلك التصرفات والممارسات والتقليعات لا تقع ضمن حيز قيمهم الأصيلة ولا تصدر عن قناعة تامة منهم .
- مراعاة الخصوصية مهمة جداً في إنجاح سائر الحركات التنموية الوطنية والنهضوية المجتمعية بأعلى نسب ممكنة .
- الخصوصية توجه محاولات الإصلاح الجادة والحثيثة في المجتمع لتكون بأيدي أبنائه لا بأيدي خارجية وبفكر ذويه لا بفكر دخلاء أو عملاء .
- فتراعي الصالح العام بما يتوافق مع مقدرات المجتمع والوطن .
- وتعالج قضاياها المؤرقة التي تنبثق من رحمه بما يتناسب مع وضعه .
- وتحفظ ميزاته الفارقة على غيره من سائر المجتمعات الأخرى .
- فتحقق الانسجام مع النمط الوطني العام المعمول به في المجتمع .

٧- مستوى المسؤولية والتفطن للدخيل

- من صمامات أمان المجتمع الفكرية التفطن لكل فكر أو ثقافة دخيلة .
- من شأنها إحداث اضطراب فكري يضر الشعوب ويؤثر عليهم .
- ولا سيما طائفة الشباب الأسرع تأثراً بمجريات الأمور .
- لحماسهم الزائد واندفاعهم الأهوج واستعجالهم في اتخاذ القرار .
- وعنفوانهم الذي يحدث ثورة الأفكار التي تعصف بعقولهم .
- مما يجعل كثيراً منهم كالريشة في مهب الريح .
- مرحلة الشباب حرجة للغاية لأنها أكثر المراحل استقطاباً للأفكار .
- بالإضافة لحبهم في التغيير وتطلعهم لكل ما هو جديد .
- كل هذه الأمور تؤثر على مسألة الثبات على القيم والمبادئ .
- وتصيب كثيراً منهم بالإحساس بفقد قيمة الحياة واللامبالاة .
- وانخفاض مستوى المسؤولية ربما لدرجة انعدامها مطلقاً أحياناً .
- فيتبرم حينها من كل شيء ويتخاذل عن القيام بواجباته ومهامه .
- وهذه مشكلة كبرى حقيقة لأن تدني الإحساس بالمسؤولية يدفع الفرد دفعاً لفعل أي شيء ليخرج من دوامة الصراع النفسي .
- وهنا يجد الدخيل الأبواب مشرعة أمامه للولوج إلى عقر دار المجتمع فيتنفش بين أفرادهم ومن ثم يصبح مع الوقت فكراً حراً لا إشكال فيه .

الحبر الأسود

- والسبب في ذلك غفلة حرّاس الفضيلة عن القيام بمهمتهم الرئيسة .
- وانشغال المسؤولين في المجتمع عن القيام بدورهم .
- مما يحدث خرقاً في جدار الحامي وثغرة في حصن الوطن .
- الثبات على القيم يعني صيانة المجتمع إلى حد كبير .
- وذلك يحتاج ليقظة وانتباه ووعي كبير ينهض به كل ذي تأثير إيجابي
- لرد كل فكر دخيل ومنهج هدّام يؤثر على حياة الناس .
- فالعالم والعامل والمسؤول كلٌّ يؤدي ما توجب عليه بجدية تامة .
- وينشر الفضيلة من خلال تصرفاته المتوازنة وسلوكياته المعتدلة .
- وينبذ الرذيلة باستقامته على المبادئ وبعده عن مساوئ الأخلاق .
- وبكلماته الصادقة وعباراته الهادفة وتوجيهاته القيمة .
- التي تحمل في طياتها همّ الأمة ومصلحة المجتمع وحماية الوطن .
- كل منهم حارسٌ على بابه حامٍ لثغره مسؤول عن مكانه .
- حينها سيجد الدخيل الأبواب أمامه موصدة والحُماة يقظة .
- فينكسر ويرجع أدراجه خاسئاً وهو حسير .
- ولن يجد له باباً يلج منه إلا إذا نام الحارس أو تخاذل الحامي .
- أو فتح أحدهما الباب له ليدخل حينها يحصل البأس كله .
- بأيدينا قبل أيدي الآخرين وبتغافلنا قبل يقظة الأعداء المخربين .

٨- مستوى التفكك الأسري

- الأسرة هي الحزام الأول للمجتمع ونواته الرئيسة في البناء .
- صلاحها وتماسكها وترايط أفرادها فيما بينهم يعني قوة وصلابة .
- وتفككهم وقلة التفاهم فيما بينهم دماراً بكل معاني الكلمة .
- والعنف الأسري أكبر مشكلات المجتمعات على الإطلاق .
- لأن الفرد الذي تعرض لأزمات اجتماعية وحالات نفسية غير مستقرة تولّد عنده بلا شك عقد واضطرابات قوية .
- ستؤثر على مستقبل حياته وعلى طريقة تفكيره وتعاطيه مع الأمور .
- مما يعني عدم اتزان شخصيته أو اعتدال تصرفاته وسلوكياته .
- الأسرة قلعة منيعة وحصن حصين يحمي الأفراد متى قامت على أسس اجتماعية متوازنة وقيم معتدلة وسلوكيات سوية .
- ودورها مهم جداً في إخراج أفراد أسوياء يعون كامل مسؤولياتهم الدينية والقيمية والمجتمعية .
- صناعة الفرد في الحقيقة تبدأ في معمل الأسرة التي تغذيه بالمبادئ والقيم والمفاهيم والأخلاقيات التي يحتاجها في حياته .
- فإن قامت بدورها كما يجب نشأ الجيل واعياً فاهماً مدركاً يحسن التصرف في الظروف والتعامل معها كما يجب .

الحبر الأسود

- ومتى تقاعست عن دورها الرئيس والأساس فذلك يعني جيلاً مفككاً هشاً مهماً ضعيف المخرجات .
- الأسرة سياق حقيقي للإنسان فمن تربي على الفضيلة وعلى القيم منذ نعومة أظفاره سينشأ ناشراً لها داعياً إليها دون أدنى شك .
- ومن تربي في أوساط الرذيلة وأحضان السوء وأكناف الفساد مستسيغاً ممارسة الجريمة مستسهلاً ارتكابها سينشأ مجرماً فاسقاً مفسداً .
- الفرد السوي الذي نشأ نشأة سليمة سيسهم في بناء مجتمعه ووطنه .
- بأقوال وأفعال وكتابات وعبارات ومواقف إيجابية بناءه .
- أما الفرد المنحرف الذي نشأ نشأة ملطخة باقتراف المنكرات فسيسهم في هدم القيم مروجاً للجريمة في مجتمعه بلسان حاله وقاله .
- التفكك الأسري معيار دقيق ومؤشر واضح دال على مستوى وعي المجتمع الحقيقي .
- فما من مجتمع صلح إلا بصلاح الأسرة التي كانت لبنة بناء فعال فيه قامت بدورها الفاعل كما يجب .
- وما من مجتمع فسد إلا بعد فساد الأسرة التي كانت بثورة فساد فرطت في القيام بواجبها المتحتم عليها .
- الأسرة هي الكنف الحاضن في الصغر وهي الوسط المعد لفهم الأمور في الكبر وهي المآرز المعين على معترك الحياة في المستقبل .

٩- مستوى الحفاظ على مقدرات الوطن

- من أوجب واجبات المواطنة المحافظة على مقدرات الوطن .
- على نحو تصان فيه الثروات الوطنية من العبث والهدر والتبديد .
- لتوضع في محلها المناسب في الوقت المناسب فتعجز بها المهام .
- الثروات الوطنية كنز يمثل قوة المجتمع الحقيقية التي بها يواجه الحياة .
- والفرد كلما أحس بالمواطنة الحقيقية دفعه ذلك ليكون محافظاً على تلك الثروات حامياً لها من العبث والتبديد والهدر وسوء الاستغلال .
- مقدرات الوطن حق للجميع وبالتالي حمايتها واجب على الجميع .
- والمحافظة عليها أصلاً من أساسيات الشرع المطهر وأولوياته .
- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول : يا رسول الله، أغثني، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حممة، فيقول : يا رسول الله، أغثني، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول : يا رسول الله، أغثني، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول : يا رسول الله، أغثني، فأقول : لا أملك لك شيئاً،

الحبر الأسود

قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقا ع تحفق، فيقول : يا رسول الله، أغثنى، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول : يا رسول الله، أغثنى، فأقول : لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك [متفق عليه . ولا ألفين : لا أجدن . ورغاء : صوت الجمل . وحممة : صوت الفرس . وثغاء : صوت الشاة . وصياح : صوت الإنسان . ورقاع تحفق : خروق وثياب تتحرك . وصامت : معدن من ذهب أو فضة] .

– كل هذه الأمور من أخذ منها شيئاً بغير إذن ولي الأمر ولو كان شيئاً يسيراً فهو غلول يوجب لصاحبه النار .

– في الحديث النبوي الشريف عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا : فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ : (كلا، إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة، ثم قال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، قال : فخرجت فناديت : ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) [مسلم . وغلها : أخذها من الغنائم بغير إذن] .

– هذه هي حقيقة مقدرات الوطن وثرواته من مد يده لما لا يستحقه وبغير إذن عذب به .

الحبر الأسود

- حتى لا يمدن أحد يده لأدنى شيء منها خفية تحت أية ذريعة كانت .
- فيحفظ الشرع المطهر بذلك جميع الثروات وسائر المقدرات .
- وإذا كان حفظ الماديات مأمور به شرعاً وهذا أمر مفروغ منه .
- فحفظ المعنويات كذلك أمر لا يستهان به .
- حين يتجاوز كثيرون على مجتمعاتهم وأوطانهم بكلمات قد تحدث فتناً كثيرة واضطرابات كبيرة .
- إطلاق الكلمات والعبارات من غير مراعاة لما ينتج عنها من سلب مشكلة كبرى قلّ من يتفطن لها .
- حماية المجتمع والوطن مطلب رئيس من الناحيتين المادية بحفظ ثرواته والمعنوية بحفظ اللسان لئلا يفسد ويضر .
- مقدرات الوطن أمر كبير يجب أن يعي الجميع دورهم تجاهها .
- صيانة لها من أن تعبت به أيدي العابثين .
- وحماية للوطن من ألسنة أهل الفتنة المغرضين .

الفصل العاشر : عوامل ازدهار المجتمع

- ١ - التمسك بتعاليم الدين .
- ٢ - الاعتصام ونبذ الفرقة والحزبية .
- ٣ - الألفة المجتمعية ووحدة النسيج العام .
- ٤ - التفطن لموجات التغريب .
- ٥ - تحقيق الأمن الفكري .
- ٦ - توظيف طاقات الشباب .
- ٧ - مراعاة تفاوت ثقافات الأجيال .
- ٨ - تعليم هادف وإعلام مسؤول .
- ٩ - إيقاظ الحس الوطني .
- ١٠ - تمكين الكوادر الجديدة .
- ١١ - تكافؤ الفرص للجميع .
- ١٢ - الإسهام في بناء المجتمع .

هي خطوات من شأنها تحقيق سلامة المجتمع
مقاصدها التنمية والتطوير والرفقي والرفاهية
أسمى غاياتها التوجيه ونشر الوعي العام
تكاملها يتحقق بالمشاركة المجتمعية للأفراد



١ - التمسك بتعاليم الدين

- الدين الحق هو الملاذ الأول والأخير الآمن للجميع .
- الذي لا يمكن أن ينتج عنه أدنى خطأ أو خلل أو زلل .
- كما لا يمكن أن يصدر عنه انحراف أو تطرف أو إرهاب .
- فإن حصل شيء من ذلك ووقع فهو لأحد سببين .
- إما سوء فهم لتشريعاته وإما سوء تطبيق لتعاليمه .
- الدين الحق عصمة تامة من كل وجه لأنه من لدن حكيم خبير .
- فتعاليم الشريعة الإسلامية قبل أن تعالج حال المجتمعات .
- أمرت بكل ما من شأنه وقايتها من انتشار أي داءات فيها ومن إطلاق الكلمات التي قد تجر ضرراً فتحقق من ذلك أمرين :
- الوقاية قبل وقوع البأس ثم العلاج منه متى وقع وحصل .
- هذا فضلاً عن أن الدين الحق يقنع العقول ويزكي النفوس ويطهر القلوب قبل أن يقوم السلوك والجوارح وسائر التصرفات .
- فهو بذلك قد اهتم بكلا الجانبين المادي والمعنوي .
- اللذان يليان كافة احتياجات الروح والجسد سواء .
- محققاً بذلك التوازن والاعتدال المطلوبين بالضبط .
- فكان بالفعل الملاذ الأول والأخير للبشر لو علموا حقيقة الأمر .

٢- الاعتصام ونبذ الفرقة والحزبية

- وحدة الكلمة واتحاد الصف فيما بين الشعوب من أقوى أسباب تلاحم المجتمعات ومن وراء ذلك الأمة ذات المصير الواحد .
- ففي الاتحاد قوة وفي الوحدة خير كبير من كل وجه .
- ولا خير في الفرقة مطلقاً ولا نفع في الاختلاف بتاتاً .
- الفرقة ضعف وهوان وشتات وضياع للقدرات والمقدرات .
- تفريق للجمع وتمزيق للشمل وتبديد للطاقات وتقاطع وتناحر .
- ومدخل لكل مفسد ومخرب ومتسلط يلج على ساحة الوطن .
- وكل ذلك في الحقيقة خلاف المطلوب والمرغوب .
- الذي كان يحتم على الأمة تمحورها حول عقيدتها السليمة .
- والتمسك بشرع ربها سبحانه دفاعاً عن مقدساتها .
- والتركيز على القواسم المشتركة التي تجمع ولا تفرق .
- وردم الصدع فيما بين أفرادها وشعوبها ومجتمعاتها .
- كل ذلك من الأولويات التي أمر بها الدين الحنيف .
- قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران] .

الحبر الأسود

- وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات] .

- وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره) [مسلم] .

- وقوله ﷺ : (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة) [الترمذي وأحمد والنسائي في الكبرى] . وبحبوة الجنة أي : سعتها ونعيمها] .

- وقوله ﷺ أيضاً : (لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا) [البخاري] .

- نصوص شرعية تبين وبكل وضوح أن من أجلّ تعاليم الدين الحنيف والشرع القويم تحقق مبدأي الوحدة والاتحاد فيما المجتمعات والشعوب .

- ونبذ كل صور الفرقة والاختلاف من كل وجه مطلقاً .

- ولا صلاح ولا فلاح ولا نجاح حقيقي إلا بالتمسك بذلك .

- وبحفظ اللسان وعدم إطلاقه بكلمات أو عبارات من شأنها إحداث أدنى فرقة أو اختلاف يضر المجتمع والأمة من وراء ذلك .

- فرب كلمة أحدثت خلافاً عظيماً جرت بأساً كبيراً على الجميع .

٣- الألفة المجتمعية ووحدة النسيج العام

- جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شاناه) [مسلم] .
- وقوله ﷺ : (اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم، فارفق به) [مسلم] .
- وقوله ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [متفق عليه] .
- وقوله ﷺ : (حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس) [أحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط] .
- يتضح لنا مما ذكر أن الرفق من جملة تعاليم الدين الحق القويم به يتحقق ترابط المسلمين فيما بينهم وتواصلهم الإيجابي المطلوب وصولاً للألفة .
- الرفق آصرة كبرى تلم الشمل وتشيع مفاهيم العفو والصفح والتسامح والتجاوز عن أخطاء الآخرين وغض الطرف عن هفواتهم وزلاتهم .
- وتقديم الصالح العام على ما سواه من مصالح شخصية فردية .
- وبهذا يتحقق المطلوب ويحصل المرغوب بوحدة النسيج العام .
- بإشاعة مبادئ الألفة والأخوة وبكظم اللسان عن سيء الكلام .

٤ - التفطن لموجات التغريب

- في الأثر قوله ﷺ : (المؤمن كئس فطن حذر وقاف، مثبت عالم ورع، لا يعجل، والمنافق همزة لمزة حطمة، لا يقف عند شبهة، ولا يترع عن كل ذي محرم كحاطب ليل لا يبالي من أين كسب وفي ما أنفق)[الحكيم الترمذي والسيوطي في الجامع الكبير . وحطمة أي : لا خير فيه] .
- هذا هو المؤمن الحق ليس بالمغفل ولا الغافل أبداً .
- يقظ واع فهيم نبيه ينظر في حقائق الأمور .
- وفيما يجري من حوله من مخططاته ومؤامرات .
- ومتى وقع أو هفا تعلم من أخطائه وازداد نباهة ويقظة وفطنة .
- فلا يقع فيها مرة أخرى . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)[مسلم] .
- وموجات الشرق والغرب الموجهة نحو المسلمين لا تفتت أبداً .
- لأنه عداء حقيقي بين حق وباطل لا يمكن أن ينتهي مطلقاً .
- والافتتان بتلك الموجات حاصل لا محالة في كل مجتمع .
- من قوم ضعاف نفوس عقولهم هزيلة وقلوبهم مريضة .
- فتنوا بها واغترروا بزينتها وانبهروا ببهرجتها وزخرفها .

الحبر الأسود

- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا يا رسول الله : اليهود، والنصارى قال : فمن) [متفق عليه] .
- ولماذا جحر ضب ! لأنه ملتوٍ يميناً وشمالاً .
- وصف دقيق لحال المفتونين في الحقيقة حين يتبعون المظاهر والمفاتيح كيفما كانت رغم رجاوتها وليس ذلك من خلق المؤمن الحق في شيء .
- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (إن الله عز وجل يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها) [الطبراني في الأوسط والكبير والبيهقي في شعب الإيمان . وسفسافها أي : خسيسها والتافه منها] .
- موجات التغريب وتياراته ما جاءت بخير مطلقاً .
- وإنما فتحت على الأمة أبواب شرور كثيرة عديدة .
- كان الواجب التصدي لها بكل وعي تام ومن ثم كشف زيفها .
- ففي ديننا الحنيف فسحة وعوض للمؤمن عن كل خلق دخيل .
- كلُّ منا على ثغر من الثغور ليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله .
- كلنا حماة للدين وحراس للفضيلة ودعاة للحق .
- فليحذر المسلم إذن من إطلاق كلمات من غير وعي تخرج من فمه كرصاصات خارقات لجسد الأمة قد تجر على المجتمع ضرراً كبيراً وبأساً عظيماً للأسف .

٥- تحقيق الأمن الفكري

- لا يمكن أن يستقر حال المجتمع ولو بالحد الأدنى ما لم يستقيم وضع الأمن فيه ويستتب وينتظم .
- على نحو يأمن فيه كل فرد على نفسه وولده وماله وما يملك .
- وبالأخص ما يسمى بالأمن الفكري الذي من شأنه إحداث توازن فكري عام في المجتمع .
- يقضي بدوره على كل صور الانحراف والتطرف والإرهاب .
- الأمن الفكري مسؤولية تقع بالدرجة الأولى على عاتق الحاكم .
- حين يهتم لمسألة ضبط السلوك العام في المجتمع .
- بالقضاء على كل صور الحزبية والخلافات المذهبية والفكرية .
- وبقطع دابر كل فتنة بدت تطل برأسها أو راجت بوادرها .
- ناشراً قيم العدل والمساواة والإنصاف والوسطية فيما بين الأفراد .
- ويقع بالدرجة الثانية على عاتق العلماء الربانيين .
- حين يبينون للجميع واجباتهم الدينية ومسؤولياتهم المجتمعية .
- من خلال إظهار تعاليم الدين الحق وكيفية التعامل معها .
- وإشاعة قيم الفضيلة وثمراتها الطيبة العائدة على المجتمع .
- وتبشيع الممارسات الرذيلة وعواقبها الوخيمة التي تضر بالكل .

الحبر الأسود

- ومن خلال الدراسات والأبحاث الجادة التي تعالج قضايا المجتمع والوطن ولا سيما المتأزمة منها .
- والتوجيهات التربوية العميقة التي تلامس أحوال الناس وتصلحها .
- بكلمات مربِّ واعٍ وعبارات غيور صادق من شأنها لمّ الشمل وجمع الفرقة والشتات .
- ليعرف كل فرد ما له وما عليه من حقوق وواجبات .
- ويعي أنه مجرد فرد في مجتمع متكامل لا يمكن أن يعيش بمفرده بمعزل عن الناس أبداً .
- وأن استقرار المجتمع مسؤولية الجميع وهو شريك في تحقيق ذلك .
- ومن تقاعس فقد فرط في واجبه تجاه مجتمعه ووطنه وأمته .
- إذن الأمن الفكري لا يمكن أن يتأتى من فراغ محض .
- ولا يمكن أن يتحقق بمجرد التنظير على الورق .
- وإنما يتحقق بتضافر الجهود واقعاً عملياً .
- بنهوض كل فرد في المجتمع بواجباته الخاصة والعامة .
- ليتحقق على الوجه المطلوب ومن ثم ينعم الجميع بالثمرة المتحققة .
- في ظل استقرار أمني فكري اجتماعي عام .

٦- توظيف طاقات الشباب

- الشباب عماد المجتمع والقوة المتدفقة فيه والثروة الحقيقية له .
- على مر العصور ينهضون بمجتمعاتهم وأوطانهم وأممهم .
- تفيض عقولهم بالأفكار وقلوبهم بالحيوية ونفوسهم بالرغبات .
- وهذا ما جعلهم سيلاً متدفقاً من العطاء وكنوزاً من القدرات .
- طاقاتهم متجددة وعنفوانهم يجعلهم قوة ناهضة لا تستسلم .
- ولأجل ذلك كان ولا بد من توظيف تلك الطاقات .
- وإلا كانت وبالاً على المجتمع تعصف به من كل حذب وصوب .
- فالشباب متى وظفت طاقاته وقدراته كان ثروة وإلا كان ثورة .
- لا تنتهي مطالبه ولا تقف احتياجاته عند حد الاكتفاء .
- جموح الشباب الحمود قد يتحول إلى جنوح مذموم .
- والتصرفات اللائقة قد تصبح ممارسات لا أخلاقية .
- والسلوك الواعي المنضبط إن لم يوظف التوظيف الإيجابي المثمر .
- صار فوضى عارمة وعشوائية لا تقف عند حد .
- طاقات الشباب ستفرغ حتماً إن لم يكن إيجاباً فسلباً .
- مما يعني وجوب است فراغ تلك الطاقات بما يعود عليهم بنفع .
- حتى لا يضرروا أنفسهم ومن حولهم من أفراد المجتمع .

الحبر الأسود

- يحتاج الشباب لمتنفسات كثيرة من شأنها امتصاص حماسهم وقدراتهم الذاتية الجسدية والمعنوية .
- كالأندية الرياضية والبرامج الثقافية والمشاركات الاجتماعية .
- التي من شأنها توجيه وإعادة توجيه وتأهيل قدراتهم الفكرية .
- ومن ثم رفع مستواها مع الوقت على نحو متوازن معتدل مأمون الجانب لا جنوح فيه ولا له .
- كما أن الكلمة الحسنى بالعبارة المثلى علاج ناجع لكثير منهم متى صدرت من تربوي مشفق وغيور محب يعي دوره المجتمعي تماماً .
- الاعتناء بطائفة الشباب وبقدراهم وطاقاتهم الجسدية والمعنوية مطلب رئيس ليتم استغلالها على أتم وجه وأحسنه .
- وإن لم يجدوا من يلتفت إليهم ويعتني بهم وبقدراهم ونفسياتهم ويخفف عنهم الضغوط التي يواجهونها .
- فسيقع أكثرهم فريسة الأفكار الضارة المفسدة التي تعصف بعقولهم .
- وسينجرف إلى تيارات فكرية عارمة تلعب به .
- فضلاً عن التغيرات المجتمعية الكثيرة التي قد تجعل كثيراً منهم عاجزين عن اتخاذ القرار المناسب نتيجة ظروف كثيرة ومتنوعة .
- وهذا يعني جيل مهمش ضعيف المخرجات من السهولة التأثير عليه وتوجيهه التوجيه الخاطئ ليكون معول هدم في مجتمعه ووطنه .

٧- مراعاة تفاوت ثقافات الأجيال

- بوابة تفاوت ثقافات الأجيال السابقة واللاحقة من أهم الأمور التي يجب الاهتمام بها والالتفات إليها .
- فالأجيال السابقة عادةً ما تكون منيعة ولو بعض الشيء عما هو ليس بمرغوب من تيارات فكرية وموجات حديثة وصيحات تجديدية .
- أما الأجيال الناشئة فتتطلع لكل جديد مما هو من متطلبات العصر .
- دون فهم لحقيقة الواقع أو التفتن لما يحاك بهم ويجرى من حولهم .
- هنا يجد المغرضون ضالتهم حين ينادون بضرورة التغيير في المجتمع .
- تماشياً مع تيارات التقدم وموجات التجديد تحقيقاً للتنمية ووصولاً إلى الرفاهية كل ذلك خدمة للمجتمع ولا سيما طائفة الشباب .
- وبهذا يفتح باب الفتن على مصراعيه لولوج كل جديد .
- هو في الظاهر تجديد إيجابي لكنه في الباطن تغير سلبي .
- يهدف إلى إسقاط حدود الثقافات الأخلاقية والقيمية الأصيلة لتتلاقى بثقافة الحريات المنطلقة التي تجيز فعل ما شاء دونما حسيب أو رقيب .
- ولا سيما في زمن أضحى العالم كله قرية صغيرة .
- اختلاف الثقافات مجال واسع للكتابة الحرة لدرجة تجاوز الحدود .
- إيجاباً أو سلباً وهنا تكمن الخطورة الحقيقية .

٨- تعليم هادف وإعلام مسؤول

- التعليم والإعلام توأمان في أمور كثيرة فيما يخص سلامة المجتمع .
- فالتعليم يؤسس والإعلام يوجه .
- التعليم الهادف الذي يؤدي رسالته في الحياة كما يجب يبني أجيالاً على قيم ومبادئ أصيلة معتدلة متزنة .
- والإعلام المسؤول الذي يعي دوره في الحياة يحافظ على وعي الأجيال ويسهم في نشر كل ما من شأنه خدمة المجتمعات .
- أما إن قصد من التعليم أغراضاً أخرى أو هبط عن مستوى العطاء الهادف أو أسيء استغلاله .
- فسوف يعطي حينها عكس المراد والمقصود منه .
- كذلك الإعلام متى فقد رسالته الجوهرية تحول إلى منبر فساد وإفساد وضرر وإضرار لا يصلح ولا ينتفع منه أحد .
- سائر المجتمعات تحتاج لهذين الجناحين التعليم والإعلام .
- فبصلاحهما يصلح حال المجتمعات والشعوب ويزيد وعي الأفراد .
- وبفسادهما يفسد المجتمع ويقع فريسة الأهواء والأدواء المدمرة .
- كما أن فساد أحدهما يضر الآخر ويفسده ولا ريب .
- فتعليم هادف يؤسس ويبنى تنهاوى صروحه بإعلام فاسد هابط .

الحبر الأسود

- وإعلام مسؤول يعي واجباته يقل أثره وتأثيره متى فسدت رسالة التعليم الهادفة .
- وبهذا كان ولا بد من صلاح الاثنين معاً .
- وأقوى المجتمعات وأكثرها سلامة هي التي قرنت بين مهمتي التعليم والإعلام حتى لا يفسد أحدهما عمل الآخر ويبدد جهوده .
- خاصة متى أعدّ الإعلام للأجيال البرامج الهادفة النافعة التي تناسبها وترفع من مستوى وعيها وثقافتها .
- الإعلام جهاز مهم جداً ومؤثر حقاً على جُل الحركة التعليمية .
- يجب أن يتعاون مع رسالة التعليم الهادفة كما ينبغي .
- فقاعدة التعليم تعد الكوادر ومن ثم تغذي وتصدر .
- ومنصة الإعلام تظهر وتنشر الكلمات والمشاركات الجادة والفاعلة .
- وتعطي مساحة حرة للبرامج الهادفة المفيدة النافعة .
- وتمنع كل ما من شأنه التلبيس والتشكيك والبلبل والإفساد .
- بحجب من لا يستحق الظهور وتصدير من يستحق ذلك فعلاً .
- أما مسألة استقلالية كل منهما عن الآخر فذلك ضرر ظاهر .
- بقدر المفارقات الحاصلة بينهما .

٩- إيقاظ الحس الوطني

- كل فرد صالح في مجتمع له نصيب من وطنه وفي مجتمعه .
- وعليه واجبات ومسؤوليات ودور مهم يجب أن ينهض بها تجاهه .
- وهو رجل الأمن الأول بيني ولا يهدم يصلح ولا يفسد .
- فشعوره بالانتماء الحقيقي يملئ عليه الصلاح والإصلاح .
- والناس يختلفون في فهم واقع الحياة وفي إطلاق كلماتهم وعباراتهم .
- مما يجعل كثيراً منهم يجهلون كيفية الإسهام الفاعل في مجتمعهم .
- فربما أفسد وهو يعتقد أنه يصلح لجهله بالفقه الشرعي للأحكام أو الفقه المقارن له المراعي لمستجدات الزمان والمكان .
- أو ربما تغافل عن وضع مجتمعه لجهله بفقه الواقع القائم .
- أو ربما أراد أن يصلح مما ليس بمتاح له لجهله بفقه الممكن والمتاح .
- أو ربما اختلطت عليه الأمور لجهله بفقه الأولويات .
- أو ربما تجاهل الزمان الذي هو فيه لجهله بفقه الحوادث والنوازل .
- أو ربما تعجل الإصلاح فأفسد للأسف لجهله بفقه المستقبل .
- كل هذه الأمور مهمة والجهل بها قد يغير الحس إلى قبيح والخير إلى شر والإصلاح إلى إفساد والبناء إلى هدم .
- نتائج عكسية سلبية ما كانت في الحسبان .

الحبر الأسود

- فمن المهم جداً في إرادة الإصلاح الحقيقي مراعاة أمور كثيرة :
- أولها . توقيت الإصلاح المناسب لوضع المجتمع وحاله .
- ثانيها . منهجية الإصلاح الواعي المعتدل المتزن بمسؤولية تامة .
- ثالثها . الانطلاق من أرضية فهم الواقع وعدم تجاهله .
- رابعها . ترتيب الأولويات وعدم الخلط فيها أو بينها .
- خامسها . عدم استعجال النتائج قبل أوانها حتى لا يفسد العمل .
- سادسها . مجانبية المؤثرات ومحاولة عدم مصادمتها ما أمكن .
- سابعها . مراعاة جوانب القصور وتلافيها مع الوقت .
- ثامنها . إمكانية التطوير المستمر والتغيير للأحسن وفق المتاح .
- تاسعها . وضع هامش فروق في الأفكار والآراء استيعاباً لها .
- عاشرها . شمولية الإصلاح لجميع أفراد المجتمع دون ممايزة .
- حادي عشر . خطط مدروسة ذات نظرة عامة لمستقبل أفضل .
- ثاني عشر . الإخفاق في جزء لا يعني فساد الكل والفشل .
- ثالث عشر . مراعاة الخصوصية بحسب المناسب والأنسب .
- رابع عشر . لا استغلال في الإصلاح الحقيقي ولا استغلال .
- خامس عشر . صم الآذان عن المحبطين والمثبطين والمتشائمين .
- هذه هي عوامل البناء والإصلاح الحقيقي في المجتمع التي لا يمكن بحال إغفالها وإلا كان إصلاحاً خديجاً فاقد القيمة بقدر النقص الحاصل .

١٠ - تمكين الكوادر الجديدة

- من أهم ما يحقق سلامة المجتمعات على أرض الواقع مسألة تمكين الأجدد بالمنصب والمكانة المناسبة له .
- وقديماً قيل : الرجل المناسب في المكان المناسب هذا مطلب رئيس .
- وبضده فمن أكبر أسباب اضطراب المجتمعات فشو مسألة المحسوبيات والتمصلح على حساب المجتمع والوطن .
- فالأجدد والأليق والأحق والأفضل والحسن قيم جميلة جداً متى اعتمد عليها المجتمع في مسألة المفاضلة الفعلية النزيهة .
- أما متى كان تعامله قائماً على عامل المعرفة والقراءة والمصلحة الحاصلة والمتبادلة والمنفعة فذلك مؤشر فساد عريض وضرر وبيء .
- لأن الأجدد سوف يركز عمله على قضية تطوير الأداء وشمولية المنفعة واضعاً نصب عينيه الصالح العام .
- أما من سواه فسيقتصر عمله غالباً على بعض الأفراد وبحسب نوعية العلاقة القائمة بينهما .
- الأجدد يعطي لمجتمعه ووطنه كل جهده ومن ثم ينقل الخبرات لغيره .
- ومن سواه يأخذ من مجتمعه لنفسه وذويه وييخل بما يعرف .
- الجدارة عامل مهم جداً في إحداث توازن حقيقي وملموس .

الحبر الأسود

- وغياها يعني تسلط من لا يعرف وتربُّعه على ما لا يستحق .
- وبالتالي تعامله مع الأمور تعاملًا لا يحقق المصالح المرجوة غالباً .
- وضعفه وجهله بما كان يجب أن يكون سيجعلانه عقبة حقيقية في وجه التغيير إلى الأحسن والأصلح والأنسب .
- كما أن جهله وضعفه سيجعلانه عدواً لكل من يستحق مكانه الذي يجلس فيه .
- مما يعني تعطيل مصالح كثيرة واضطراباً عاماً في أدائها كما يجب .
- من هنا كان الرجل المناسب مفتاحاً حقيقياً لتحقيق كل ما من شأنه خدمة المجتمع على مستوى عالٍ .
- وغيابه أو تغييبه سيجر على المجتمع مشكلات لا حصر لها .
- الجدير يعي أن ما يقوم به من مهام تناسب الوضع حالاً ومستقبلاً بما يطور كفاءات العمل وآلياته المعمول بها لتكون أكثر ملائمة وتناغماً .
- الجدير لديه القدرة على التغيير وعلى التعديل وعلى التنويع غايته في كل ذلك مزامنة المصالح ومواكبة المنافع لكل المستجدات .
- الجدارة ترفض تماماً الأنانية والانتهازية والنفعية الشخصية .
- مقصدها العام أن ينعم المجتمع في بيئة متوازنة لا اضطراب فيها .
- وأولى درجات الجدارة انتقاء الكلمات والألفاظ وصياغة العبارات .
- فالكلمات الإيجابية جسور بناء حقيقي بين المجتمعات والشعوب .

١١ - تكافؤ الفرص للجميع

- مهم جداً في أي مجتمع كان تحقق ما يسمى بتكافؤ الفرص .
- ليشعر الفرد فيه بعظمة قيم العدل والمساواة بين الجميع بالفعل .
- وأنه عود من حزمة له ما لهم وعليه ما عليهم يعين ويعاون .
- مشاركة جماعية تحدث توازناً واقعياً في المجتمع .
- يلمس الأفراد فيها أن الوطن للجميع ليس أحد بأولى من غيره به ولا فيه إلا بقدر عطائه وبذله وإسهاماته في بنائه .
- وتكافؤ الفرص لا يعني الاتكالية بحال بقدر ما يعني وجوب المشاركة المجتمعية ليستشعر الفرد بقيمته فيه .
- أما من طلب الفرص ولم يسع لها بما يتوجب عليه من بذل وعطاء ولم يشارك في صناعتها بحسب طاقاته فذاك عالة على مجتمعه .
- نعم الوطن للجميع لكن الكل مطالب في الإسهام في بنائه بالعمل الجاد قبل المطالبة بتوزيع الخيرات والثروات عليهم .
- والتكافؤ هنا يعني وجوب قيام الفرد بالدور الذي توجب عليه في بناء مجتمعه قبل مطالبته باستحقاقاته منه .
- وأوجب المشاركات المجتمعية الفاعلة وأسهلها هي الكلمة الإيجابية .
- فرب كلمة صنعت فرصة ورب عبارة أحدثت مهارة .

١٢ - الإسهام في بناء المجتمع

- في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمر الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته)[متفق عليه] .

- حديث عظيم بين عدة أمور مهمة في حياة المسلم .
- أولها . أن المسؤولية لا تنفك عن أحد من البشر أبداً .
- ثانيها . أن الرعاية مهمة الجميع وليست على أفراد دون آخرين .
- ثالثها . واعظ المرء من نفسه يعي كم المسؤوليات في حياته فيقوم بها تجاهها ومن ثم تجاه من هم تحت يده .
- وبهذا يتكامل بناء المجتمع حين يعي كل فرد ما كلف به مما لا يقوم به غيره مطلقاً .
- فيدفعه ذلك دفعاً ليكون عاملاً للبناء الإيجابي في مجتمعه .
- وأحد المقومات الفاعلة للنهضة والتنمية والرقى .
- بناء المجتمع ليس حكراً على أناس دون آخرين .

الحبر الأسود

- وبالمقابل ثرواته ليست لأشخاص دون غيرهم .
- الكل مطالب بالعمل والجميع يستحق الاستفادة .
- وكل عمل له قيمة مهما قلت في أعين الناس .
- وبالتالي فكل عامل مشكور السعي لما قدم ولما يقدم .
- وهذا يعني أن الأعمال في المجتمع تتكامل لا تتفاضل .
- كل فرد يحتاج لغيره في موقعه .
- وكل شخص يأخذ ما يحتاجه ويعطي ما يحسنه ويحيده .
- والبأس كل البأس في البطالة والعطالة .
- واليد التي لا تعمل عالة على من سواها .
- والأمانة والنزاهة والإتقان والإجادة مقومات العمل .
- وبغير هذه المقومات يصبح العمل ناقصاً لا يعطي القيمة المطلوبة منه بقدر ذلك النقص الحاصل .
- وقد يصير عملاً بعكس المطلوب .
- وكم من عامل لما أساء أداء العمل تحول عمله إلى بؤرة فساد .
- نتيجة التقصير والتفريط الحاصل فيه بقدره .
- وكان الواجب مراقبة الله تعالى فيه قبل مراقبة الخلق .
- وأسوأ ما في العمل حين يتحول إلى مجرد مصالح ثنائية مشتركة .
- قاصرة على أشخاص معينين أو جهات معينة .

الحبر الأسود

- فلا يأخذ إلا من يعطي ولا يستفيد إلا من يفيد .
- هذه هي أكبر مشكلات المجتمعات على الإطلاق .
- وأكبر دوافع الفساد فيها .
- لأنها تسبب لدى العامل التراخي وعدم الاهتمام لما كلف به .
- مسألة بناء المجتمعات ليست مجرد شعارات وحسب .
- وإنما تخطيط يتبعه عمل دؤوب وجهد حقيقي يؤتي ثماره .
- وآراء من شأنها خدمة الجميع ومواكبة التجديد على الدوام .
- وكلمات حق بعبارات صدق تلين القلب الجامد الحديد .
- والتجديد في ديننا لا يقف عند حد معين .
- وإنما منهج معتدل متوازن مطلق لا قيود له .
- يشمل كل الزمان وكل المكان مراعيًا كل الأحوال .
- متماشيًا مع جميع الأوضاع لنفع كافة الناس .
- حوت تعاليمه تشريعات طالت كل المصالح المرسله .
- التي تقر كل عمل إيجابي يحقق نفعاً وترد كل سلبية قد يجر ضرراً .
- بمثل هذه المفاهيم يسهم المسلم في بناء مجتمعه على الوجه المطلوب .
- بما سنع له وأتيح من فرص وممكنات قائمة .
- من شأنها جلب أدنى مصلحة أو منفعة ودرء أقل مفسدة أو مضرة .
- وفق منهج متكامل خيره ونفعه للجميع دون استثناء أبداً .

الحبر الأسود

الخاتمة :

- ماذا بعد ! أليست الكلمات هي التي تبني وتهدم ! تشيد وتدمر !
- تعلي الشأن وتخفضه ! تزيد القدر وتنقصه !
- تمنح التفاؤل وترمي بالشؤم ! تفتح الأبواب وتوصدها !
- تعتق القلوب وتأسرها ! تطلق العقول وتقيمن عليها !
- تزكي النفوس وتريحها ! أو تشقيها وتمرضها !
- بأحرف قليلة يكتب للمرء الفلاح والنجاة والسعادة الأبدية .
- بمثلها يكتب عليه الهلاك والبوار والشقاء الأبدي .
- فواعجباً لأحرف كونت كلمات صاغت عبارات وحسب .
- ترتب عليها نتائج عظيمة أو عواقب وخيمة .
- لذا كانت الكلمة سهماً صائباً لا يخطئ الفؤاد .
- متى انطلق فقد أحدث حدثاً يقدر بقدره معناً وزماناً ومكاناً .
- ولهذا كان اللسان في الحقيقة فرس الرهان .
- قد ينجي صاحبه فيفوز وقد يوبقه فيهلك .
- فالعاقل يملك لسانه وكلماته وعباراته وما جرى به قلمه .
- والسفيه لسانه يملكه وكلماته وعباراته تحكمه وقلمه يدينه .
- وصدق خير الورى عليه السلام بقوله : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
- فليقل خيراً أو ليصمت) [متفق عليه] . صمتُ لسان وصمتُ قلم .

الحبر الأسود

الفهرس

المقدمة	٣
مدخل	٦
<u>الفصل الأول : الإصلاح والمصلحون</u>	٩
١ - دعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام	١١
٢ - بلاغ الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان	١٣
٣ - دور العلماء الربانيين	١٥
٤ - نشاط الدعاة المعتدلين	١٧
٥ - تراث الكُتَّاب والمثقفين	١٩
٦ - دعم القادة والمتنفذين	٢١
٧ - كلمات العامة والغيورين	٢٣
<u>الفصل الثاني : الإفساد والمفسدون</u>	٢٥
١ - الطواغيت والمفسدون	٢٧
٢ - الفرق والطوائف والمتحزِّبون	٢٩
٣ - المتحرِّرون والانفتاحيون	٣١
٤ - المرتزقة والمنافقون	٣٣
٥ - الجواسيس والعملاء المخربُّون	٣٥
٦ - الأدعياء والجاهلون	٣٧
	١٦٥

الحبر الأسود

٣٨.....	٧- المتعاملون والمتقوّلون
٤٠.....	٨- المتعصّبون والمتمذهبون
٤٢.....	الفصل الثالث : تأثير الحاكمين
٤٤.....	١- الدين يحكم بشريعته
٤٦.....	٢- القانون يحكم بنظامه
٤٨.....	٣- العادات والتقاليد تحكم بموروثاتها
٥٠.....	٤- العرف يحكم بمسلماته
٥٢.....	٥- التعليم يحكم بمناهجه
٥٤.....	٦- الإعلام يحكم بتأثير وسائله
٥٦.....	٧- الأحزاب تحكم بتبعيتها
٥٨.....	٨- الظروف تحكم بواقعها
٦٠.....	٩- الفكر يحكم بقناعاته
٦٢.....	١٠- الدخيل يحكم بانتشاره
٦٤.....	١١- الشهوات تحكم بغلبتها
٦٦.....	١٢- الجهل يحكم بممارساته
٦٧.....	الفصل الرابع : مكان من الخطر
٦٩.....	١- طغيان القانون وهجر تحكيم الشريعة
٧٢.....	٢- فتنة الحزبية والفرقة
١٦٦	

الحبر الأسود

٣- نتاج الفكر الضال	٧٤
٤- جرأة محاسبة الحُكَّام	٧٧
٥- منهج التشدد المقيت	٨١
٦- بلوى استحسان الرأي المفرط	٨٣
٧- لوثة الحرية الشخصية	٨٧
٨- مشكلة التقليد اللا واعي	٨٩
٩- المبالغة في الرفاهية الزائدة	٩١
١٠- ظاهرة سوء استغلال النفوذ	٩٣
١١- دور الخيانة والعمالة	٩٤
١٢- ضغوط المؤامرات الخفية	٩٦
الفصل الخامس : صدى الكلمات	٩٩
١- الإصلاح المتعمد	١٠١
٢- الإصلاح رغم إرادة الإفساد	١٠٢
٣- الإفساد نتيجة الإصلاح الخاطئ	١٠٣
٤- الإفساد المتعمد	١٠٥
الفصل السادس : منحنيات التأثير	١٠٧
١- المنحنى الديني	١٠٩
٢- المنحنى الاجتماعي	١١٠
	١٦٧

الحبر الأسود

١١١.....	٣- المنحنى الثقافي
١١٢.....	٤- المنحنى السياسي
١١٣.....	٥- المنحنى المالي
١١٤.....	٦- المنحنى الإعلامي
١١٥.....	٧- المنحنى التعليمي
١١٦.....	<u>الفصل السابع : وسائل التغيير</u>
١١٨.....	١- التغيير المباشر
١٢٠.....	٢- التغيير غير المباشر
١٢٢.....	<u>الفصل الثامن : نتائج التغيير</u>
١٢٤.....	١- التغيير الإيجابي الفعّال
١٢٥.....	٢- التغيير السلبي المؤثر
١٢٦.....	<u>الفصل التاسع : مستويات الوعي المجتمعي</u>
١٢٨.....	١- مستوى التّدين المتوازن المعتدل
١٢٩.....	٢- مستوى الثقافة الأصيلة
١٣٠.....	٣- مستوى الترابط ونبذ العنصرية
١٣١.....	٤- مستوى التمدُّن وإمكانية الرقي
١٣٢.....	٥- مستوى الواقعية في الطرح
١٣٣.....	٦- مستوى مراعاة خصوصية المجتمع
١٦٨	

الحبر الأسود

١٣٤.....	٧- مستوى المسؤولية والتفطن للدخيل
١٣٦.....	٨- مستوى التفكك الأسري
١٣٨.....	٩- مستوى الحفاظ على مقدرات الوطن
١٤١.....	<u>الفصل العاشر : عوامل ازدهار المجتمع</u>
١٤٣.....	١- التمسك بتعاليم الدين
١٤٤.....	٢- الاعتصام ونبذ الفرقة والحزبية
١٤٦.....	٣- الألفة المجتمعية ووحدة النسيج العام
١٤٧.....	٤- التفطن لموجات التغريب
١٤٩.....	٥- تحقيق الأمن الفكري
١٥١.....	٦- توظيف طاقات الشباب
١٥٣.....	٧- مراعاة تفاوت ثقافات الأجيال
١٥٤.....	٨- تعليم هادف وإعلام مسؤول
١٥٦.....	٩- إيقاظ الحس الوطني
١٥٨.....	١٠- تمكين الكوادر الجديرة
١٦٠.....	١١- تكافؤ الفرص للجميع
١٦١.....	١٢- الإسهام في بناء المجتمع
١٦٤.....	الخاتمة
١٦٥.....	الفهرس
١٦٩	



مُحَمَّدٌ لِلَّهِ نَعَالٌ وَنُوفَةٌ سُبْحَانَهُ

إِلَى اللِّقَاءِ الْأَجْمَلِ الْأَفْضَلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى